



روايات مصرية للجيب -

زهور

١١

العصفور الجريح



www.dvd4arab.com

المؤسسة العربية الحديثة
للطباعة والنشر والتوزيع
بمصر

العصفور الجريح

أصتروا صوت يجلجل بيننا
أغناء أم أحداث ربح
انظروا طير يحلق بيننا
يطوى الجناح ويستريح
ويذكر كيف كنتم أن غداً
صوت البلب كالمصحح
ليس شلوا تسمعون وإنما
أنات عصفور جريح
(ليل)

١ - فائق ..

لست أدري كيف أبدأ قصتي هذه ..
أبدأها منذ تلك اللحظة التي وقعت فيها في حب
(فائق) ...

أم أبدأها لحظة أن فقدتها ..
تري أأصفها أولاً ، أم أصف نفسي ؟ ..
نخضم من الأحداث والذكريات يعصف بي ،
وأنا أجلس الآن في شرفة منزلي ، المطل على شاطئ
البحر ، في مدينة الإسكندرية ، أمسك قلبي وأوراق ،
وأأمل غروب الشمس ، وأحاول العثور على نقطة
البداية ..

ولكن مهلاً ..
لم لا أعود إلى حيث بدأت القصة بالفعل ؟ ..
إلى تلك الليلة العاصفة ، من ليالي الشتاء القارصة
البرودة ..

إلى خمس سنوات مضت ..



إلى أول لقاء لي بـ (فاتن) ..

يا لها من ذكرى !!

أى تناقض تبعته فى نفسى هذه الذكريات ؟ ..

أى مزيج هذا من النشوة ، والسعادة ، والألم ،

والعذاب ؟ ..

هل أحيتها حقاً ؟ ..

أكان لها وجود حقيقى فى حياتى ، أم أنها حلم

عجيب عاشه خيالى ، طوال خمسة أعوام ؟ ..

وهل أحببتنى هى ؟ ..

يبدو أنه لا مناص من العودة إلى البداية ..

إلى شقتى الصغيرة القديمة فى الإسكندرية .. تلك

الشقة التى كنت أعيش فيها بعد تخرجى فى كلية الطب

جامعة الإسكندرية ، فأنا لست من سكان عروس البحر

المتوسط ، ولكننى تزحت إليها بعد أن أرسلنى مجموع

درجاتى فى الثانوية العامة إلى هناك ، واستأجر لى

والذى هذه الشقة المفروشة الصغيرة ، والتى استمررت

أقيم فيها بعد تخرجى ، واستمر والذى بسدد لإيجارها ،

***** ٦ *****

الذى يفوق راتبى ، انتظاراً لانتقالى إلى بلدتى الأصلية ،

بعد انتهاء سنة الامتياز الإجبارية ، التى يحصل خريج

الطب بعدها على ترخيص مزاولة المهنة ..

عشت فى هذه الشقة الصغيرة سبع سنوات كاملة ،

دون أن أعرف شيئاً عن سكان العمارة الكبيرة .. ربما

لأننى كنت منطوياً بطبعى .. منكباً على الدراسة والعلم ،

أقضى معظم ساعات اليوم فى الكلية ومعاملها ، أو فى

المستشفى الجامعى ، أو خلف مكتبى أستاذى محاضراتى

ودروسى ، أو أشاهد برامج التلفزيون فى السهرة ..

قبل أن أنتقل إلى أحداث القصة ، أعتقد أنه من

الأفضل أن نتعارف أولاً ..

أنا شاب ضئيل الجسد ، عادى الملامح ، نحيل ،

كثيف الحاجبين ، حليق الوجه ، أرتدى منظاراً طبيعياً

صغيراً ، وفوق رأسى شعر أسود مجعد قصير ، وعلى

الرغم من خلو ملاععى من الوسامة تماماً ، إلا أن الجميع

يقولون لى أنتى أمنحهم شعوراً بالارتياح والثقة ، أما عن

اسمى فهو (فوزى) .. الألقاب هنا لا تهم .. يكفىكم

***** ٧ *****

(فوزى) فحسب ، وهو اسم عادى كما ترون ، عادى
ككل ما يتعلق به ..

كنت كما وصفت لكم نفسى ، أجلس منكباً على
مطالعة بعض التشرّات العلاجية الجديدة ، عندما سمعت
فجأة طرقةً عنيفاً على باب شقتى ..

أصارحكم القول أنى ارتجفت ، وتوجّست خيفة ،
فطوال مكثى فى الشقة ، لم يحدث أن طرقت بابى سوى
زائر ، أو قريب ، ولم يحدث هذا قط على هذا النحو
العنيف ، ولكننى أسرعته أفتح الباب ، ووقفت لحظة
أنطلع فى دهشة إلى وجه السيدة ، التى اندفعت إلى
شقتى بادية الذعر والقلق ، وصاحت وهى تلوح بلسانها
فى لهفة ولوعة ..

— أنقلنا يا دكتور .. ابنتى الوحيدة سقطت فى
غيوبة .

لم أكن أعرف تلك السيدة ، التى تبدو فى منتصف
الأربعينات ، ولكننى أسرعته ألغط حقيقى الطيبة ،
وأهرع خلفها إلى الطابق العلوى ، وقد تملكى الانفعال

***** ٨ *****

كثيراً ، شأن أى طيب امتياز ، يجد نفسه فجأة مطلوباً
لنجدلة حالة عاجلة ، ومطالباً بتطبيق كل ما درسه فى
سنوات الدراسة ، وغير مصرح له بالخطأ ..

عبرت خلف السيدة باب شقتها ، وأسرعت إلى
الحجرة الصغيرة ، التى اقتحمتها فى لهفة ، وهناك وقعت
عيناى على (فاتن) لأول مرة ..

هناك فوق الفراش الصغير ، كانت ترقد أجمل
وأرق فتاة ، وقعت عليها عيناى ..

كانت (فاتن) ضئيلة الجسد ، رقيقة ، تلوّح
ملاعها رقة وعلوبة ..

وجهاها الصغير أقرب إلى ملامح الطفولة ، يضم
فى حنان شفيتها الصغيرتين ، وأنفها المستقيم الرقيق ،
وعينيها المسبنتين ، برموشهما السوداء الطويلة ، ويحيط
بكل هذا شعر أسود ناعم كالحرير ، ينسدل كليل
طويل على كتفها ، فيصنع بتناقضه مع بشرتها البيضاء
مراً يجلب العين ، ويجلب اللب ..

وقفت لحظة أحده فى ذلك الملاك مبهوراً ، مسلوباً ،

***** ٦ *****

حتى انتهت على صوت أمها تهتف في لوعة ، ودموع
الحزن تبلل وجهها :

— ماذا أصابها يا دكتور ؟

أسرعت أفتح حقيبتي الطبية ، وأقوم بواجبي
كطبيب ، وقبل أن أنتهي من الكشف عليها ، سمعتها
تأوه بصوت رقيق ، زغردت له أذناي فرحاً ونشوة ،
فرفعت عيني إلى عينيها ، ورأيتها تفتحهما في هدوء ،
وتتطلع إلى وجهي في حيرة واستكانة ..
لم تكد عيناى تلتقيان بعينيها ، حتى خفق قلبي في
قوة ، وارتجف بين ضلوعي ..

كانت عيناها أجمل بحر وقعت عليه عيناى ..
زرقاء ، شفافة ، ناعمة ، حانية ، واسعة ، رقيقة ،
جميلة ، خلابة ..

يا إلهى !! كم يختلج قلبي ، وأنا أعود إلى ذكرى
هذه اللحظة !!

لقد سألتني في هدوء واستسلام ، انهار لها حصن

مقاومتي :

***** 1. *****

— ماذا حدث لي ؟! .. من أنت ؟

حاولت أن أجيب سؤالها ، ولكن في ظل مطبقاً ،
وعجز لساني عن الحركة ..

كنت أصبح في بحر عينيها في لذة ، وسعادة ، ولهفة ..
لم تنفرج شفتاى عن كلمة واحدة ، في حين
أسرعت أمها تحتضنها في لهفة ، وتهتف من خلال
دموعها الغزيرة :

— حمداً لله على سلامتك يا (فائن) .. ليتني أنا التي
سقطت لا أنت .

كانت أول مرة أعرف فيها اسمها ، وشعرت أنه
يناسبها تماماً ، فكل شيء فيها فائن جذاب ..

قدّرت عمرها في تلك اللحظة بسبعة عشر عاماً ،
أو ما يزيد ببضعة أشهر ، وبدت لي وهي تستسلم لذراعى
أمها كعصفور صغير رقيق ، استكان لعشه ، وارتاح
لجناحي أمه ..

قاومت ذلك الشعور الجارف ، الذي يملأ كياني ،
وقلت في حنان :

***** 11 *****

— يبدو أنك أرهقت نفسك كثيراً و ...

لم أستطع إكمال عبارتي ، حينما التفتت إلى ، وبدأ
جزع مفاجئ في عيني أمها ، فازدردت لعابي في صعوبة ،
وعدت أتابع :

— إنك محتاجين إلى بعض الراحة في الفراش و ...
مرة أخرى ، لم أستطع إتمام عبارتي ، فقد قفز
إلى العنين الجميلتين حزن عجيب ، وعادت الدموع
تتألق في عيني الأم في لوعة ..

لم أفهم ما يعنيه ذلك ..

لم أفهمه أبداً ..

ولكنني لم أتابع حديثي ..

نهضت في بطاء ، وأخذت ألم أدواني ، وأعيدتها
إلى حقيقتي ، ثم قلت دون أن ألتفت إليهما :

— سأعود لرؤيتها في الصباح الباكر بإذن الله .

وأسرعت أغادر الحجرة ، وهرعت والدتها خلتني ،

وقالت فيما يشبه الاعتذار :

— معذرة يا دكتور .. لقد أقلقناك كثيراً ، ولكن ..

قاطعتها بسرعة :

— لا تعتذري يا سيدي .. نحن جيران ، والجوار

حق على جاره ، ثم إنها مهنتي .

نظرت إلى في امتنان ، وقالت :

— كيف أرد لك الجميل ؟

ابنسمت وأنا أقول في تعلم :

— بأن تتوقى عن الحديث بهذا الأسلوب .

ثم أسرعت أغادر المنزل ، وقلبي يخفق في لهفة

وفرح ..

لم أكد أدخل منزلي ، حتى أغلقت الباب خلفي في

إحكام ، وكأنني أرفض أن يفتح أحد خلوتي ، ويعكر

صفو تلك اللحظات السعيدة ، التي أحيانا لأول مرة ..

استلقيت على فراشي بملابسي ، وأغلقت عيني ، وأنا

أستعيد في ذهني ملامح (فاتن) ، وملاحتها ، ورقتها ..

أستعيد ذكرى عينيها ، اللتين لم أر أجمل منهما في

حياتي كلها ..

٢ - المفاجأة ..

أشرق الصباح ، وأشرق مع تساؤلات ومخاوف ،
أثارت الهواجس في كوامن نفسي ..
كيف يمكنني أن أغرق هكذا ، في حب فتاة
رأيتها مرة واحدة ، وللحظات معدودة ، ولم أتبادل معها
سوى كلمات تعدّ على أصابع اليد الواحدة ؟ ..

هل أسرني جمالها فحسب ؟ ..

هل بهرتني رقتها ، وألهبني ضعفها ؟ ..

عدت أسترجع ملامحها الجميلة الرقيقة ، وقد
تراجع خفقان قلبي ، وعاد عقلي يسيطر على أفكارى
ومشاعرى ، ويحاول دراسة الأمر ، كما أفعل مع أى
حالة طبية تواجهنى ..

بدأت بسؤال محدد .. ما هو الحب ؟ ..

أهو انفعال نفسي ، وتوافق عاطفى بين شخصين
من جنس مختلف ، كما يحدث من تجاذب بين الأقطاب
المختلفة في المغناطيس ؟ ..

جذبتنى الأفكار ، وسلبتني إحساسى بالوقت ،
وأنا هائم في ذكرى عينيها ، حتى فوجئت بأذان الفجر
يتردد في المنطقة ، فنهضت من فراشى ، وقد أبى النوم
أن يقتحم خلوتى ، وأخذت أتأمل شروق الشمس ،
وأنتظر مطلع النهار في لهفة ، حتى أعود لرؤية (فاتن) ،
واعترفت لنفسى وأنا أرقب قرص الشمس الأحمر ، أتنى
قد أحيت ..

بل غرقت حتى أذنى في حب أرقّ عصفور في
الوجود ..

في حب (فاتن) ..



أهو تفاعل كيميائي ، ينشأ فجأة في الجسد ، ويؤثر
في القلب ؟ ..

أم هو عامل مجهول ، تتضافر فيه كل خصائص
الجسم والعقل والروح ؟ ..

فكرت طويلاً ، ولكنني عجزت عن تحديد ماهية
الحب ، فأسرعت إلى كتب التحاليل النفسية ، محاولاً
البحث عبثاً عن جواب ، ثم لم ألبث أن نحيتها جانباً ،
وكذلك فعلت بالسؤال الأول ، وعدت أدرس حالتي
من نقطة مختلفة ..

اعترفت في البداية بوجود شيء ما يربطني
بـ (فاتن) ، وأخذت أبحث عن طبيعة هذا الشيء ..
لقد شعرت بهذه الرابطة عندما رأيتها لأول وهلة ..
شعرت أنها ضعيفة ، رقيقة ، جميلة ، تحتاج إلى
الحماية والرعاية ..

ربما جذبني إليها ضعفها ، وربما كانت طبيعي
المنطوية هي التي دفعتني للارتباط بأول فتاة ، تحتاج
حقاً إلى معاونتي ..

ربما لم يكن هذا الذي أحسه نحوها حباً ، ولكنه
عاطفة قوية على أية حال ...

ألقيت كل حيرتي جانباً ، مع دقائق الساعة التاسعة
صباحاً ، وأسرعت أرتدى ملابسى ، وقد تنبهت إلى
تأخرى عن موعد عمل ، خاصة وأنتى أحب المرور على
(فاتن) قبل ذهابي إلى المستشفى ..

حرصت على أناقنى كثيراً هذه المرة ، وترددت
طويلاً في اختيار رباط عنق مناسب ، وحلة متناسقة ،
ثم حملت حقيقتى العلية ، وصعدت إلى منزل (فاتن) ..

تصاعد انفعالى مع كل خطوة أخطوها ، ومع كل
درجة سلم أعتليها ، حتى وصل إلى ذروته ، وأنا أدق
باب شقتها ، وكدت أعود أدراجى في عصبية لا مبرر
لها ، لولا أن فتحت والدتها الباب ، وملأت الابتسامة
وجهها الصبوح ، وهى تهتف في ترحاب :

— مرحباً يا دكتور .. تفضل .. إن (فاتن) تسأل
عنك منذ أن استيقظت هذا الصباح .

خفق قلبي في شدة ، مع ذكر اسم (فاتن) ، حتى

أننى بذلت مجهوداً خارقاً لأحافظ على نبرات صوتى ،
وأنا أقول :

— كيف حالها ؟

قالت والدتها فى طيبة وامتنان ، وهى تقودنى إلى
حجرة (فاتن) :

— فى خير حال .. لن تنسى جميلك هذا .

ثم أردفت فى اهتمام أموى ، بحث فى نفسى كثيراً
من الارتياح والحنان إلى أسرتى :

— هل تناولت إفطارك ؟

تذكرت فى هذه اللحظة أننى لم أتناول حتى عشاء
أمس ، ولكن الحجل منعنى من ذكر ذلك ، فغمغمت
فى شكر :

— نعم يا أماء .. شكراً لسؤالك .

لمحت بريق الحنان فى عينيها ، حينما خاطبتها بلقب
أمى ، وبدأت السعادة فى نبرات صوتها وهى تقول فى
حماس :

— سأعد لك كوباً من الشاي إذن .

ثم طرقت باب حجرة (فاتن) ، وهى تقول :

— الدكتور (فوزى) حضر لرؤيتك يا (فاتن) .

ودفعت باب الحجرة ، ثم تركتنى ، وأسرعت تعد
الشاي ، وترددت أنا للحظة ، ثم خطوت إلى حجرة
(فاتن) ، وأنا أرتجف من فرط الانفعال ..

ما زلت أذكر— بعد مرور خمس سنوات كاملة—
تلك الابتسامة الرقيقة ، التى استقبلتنى بها (فاتن) ، وهى
ترقد فى فراشها ، تماماً كما تركتها أمس ، ولا صوتها
الرقيق وهى تقول فى هدوء :

— صباح الخير يا دكتور (فوزى) .. كيف أشكرك
على ما نجشمته من أجل أمس ؟

وقفت أتأمل ملامحها الرقيقة فى صمت ، دون أن أجد
جواباً ، ثم انتبهت من استغراقى ، فأسرعت أقول فى تلثم :

— إننى لم أتجشم شيئاً فى الواقع ، فقد استعدت
وعبك قبل حتى أن اتى من الكشف عليك .

أشارت إلى مقعد قريب من فراشها ، وكأنها تدعوني
للجلوس ، وهي تقول في رقة متناهية :

— ولكنك مررت إلى هنا ، وهذا يكنى ..

جلست وأنا أنعمهم :

— هذا واجبي ..

ابتسمت في رقة ، وقالت وهي تتأملني بكل عينيها

الساحرتين :

— في عصرنا هذا حتى أداء الواجب يستحق الشكر .

شعرت بعاطفة عاصفة مجتاحني ، وخشيت أن

تشق ملاحي عما يعتل في نفسي ، فأشحت بوجهي

عنها ، متظاهراً بتأمل حجرتها ..

كانت حجرة صغيرة أنيقة .. تم عن ذوق رفيع .

ولمسة جمال ورقة ، وتوقفت عيناى عند قفص صغير

بالقرب من النافذة ، استقر داخله عصفور رائع الألوان ،

يقف صامتاً ، يتأمل الجو خارج النافذة ، كما لو كان

يتحسر على مجنه الانفرادى ، فسألتها وأنا أحاول جلب

أطراف الحديث معها :

***** ٢٠ *****

— عجباً !! إلتى لم أنتبه إلى وجود هذا العصفور

أمس ، هل تنقلينه إلى حجرتك في الصباح ؟

أجابتنى وهي تبسم :

— كلاً .. إنه يلزم حجرتي طوال الوقت .

قلت وأنا أتشغل بمراقبة العصفور :

— لماذا لا يتحرك أو يغرد ؟

تسللت إلى صوتها نبرة حزينة ، على الرغم من

ابتسامتها ، وهي تقول :

— لقد توقف عن التغريد منذ فترة طويلة .

التفت إليها ، أسألتها في دهشة :

— هل تتوقف الطيور عن التغريد ؟

أومأت برأسها إيجاباً ، وقالت وهي تتأمل العصفور

الصامت ، فيما خيل لي أنه شفقة بالغة :

— لقد كان يشدو بغناء رائع كل صباح ، وكانت

أنشاه تشاركه الشدو ، حتى عثرنا عليها ذات يوم وقد

فاضت روحها ، ومن يومها لم يغرد هو أبداً .

***** ٢١ *****

ساد الصمت بيننا لحظة ، وكأننا نؤدى الحداد على
روح أنثى العصفور ، ثم غمغمت محاولاً تحطيم روح
الحزن التى خيمت علينا :

— ربما كان مجنه هو ما يحزنه .

— لقد كان مجيناً منذ مولده .

— كانت أنثاه تهوّن من آلام مجنه ، فلما فقدها
ازداد إحساسه به .

— وكيف يعلم أنه فى مجن ، ما دام لم يغادره أبداً ،
ولم يلق طعم الحرية مطلقاً ؟

— إنه يرى الطيور والعصافير الأخرى ، من خلال
النافذة ، تخلق فى حرية كبيرة ، وترفرف بأجنحتها فى
سعادة وانطلاق ، فى حين يخنق هو داخل مجن ضيق ،
لا يسمح لجناحيه بالخفقان .

— هل تظن أنه يغادر قفصه ، لو أننا منحناه فرصة
الاختيار ؟

— بالطبع .. قد يتردد لحظة فى البداية ، ولكنه لن

***** ٢٢ *****

يلبث أن ينطلق خارج مجنه ، مرفراً بجناحيه فى
سعادة .

— لقد اعتاد طيلة عمره على وجود غدائه جاهزاً ،
ولن يمكنه البحث عنه ، ومصارعة الطيور الأخرى من
أجل البقاء ، وقد يقتله خروجه من قفصه .

— فلنترك له مهمة تقرير مصيره ، حتى لا نكون
أشبه بسلطات الاحتلال ، التى تجعل من نفسها وصية
على الشعب الذى تحتله ، بحجة أنه غير قادر على اتخاذ
قراراته المصيرية .

— سيؤنبني ضميرى لو أنه مات .

— كلنا منموت يوماً ، وربما كان هو يفضل
الموت فى حرية ، وسط الطبيعة التى خلق من أجلها ،
بدلاً من العيش دهرأ فى قفص من الخشب والسلك .

ساد الصمت بيننا بعض الوقت ، وبدأت (فاتن)
وكانها تدرس الأمر فى عقلها ، ثم لم تلبث أن ابتسمت ،
وقالت فى هدوء ورقة :

***** ٢٢ *****

— أطلقه إذن .

قلت وأنا أبتسم بدورى :

— لم لا تطلقينه أنت ؟

ضحكت ضحكة رقيقة . وقالت :

— هل رأيت كم من العسير اتخذ مثل هذا القرار ؟

ابتسمت لمنطقها . وعدت أعود بعيني في الحجرة ،

ثم أشرت إلى صورة تمثلها في زى ، بدنا لي صجياً ،
وسألها :

— أهذه أنت ؟

خجلت إلى أن ملامحها قد اكتست بالحزن وهي

تقول :

— نعم .. هذه أنا منذ هامين .

عدت أسألها :

— وماذا ترتدين في الصورة ؟

ابتسمت ابتسامة حزينة ، وقالت :

— واحد من أزياء أوبريت ، حصلت فيه على

الجائزة الأولى .

***** ٢٤ *****

تطلعت إليها في دهشة ، وأنا أقول :

— أوبريت ؟ ماذا تعنين ؟

عادت تبتسم نفس الابتسامة الحزينة ، وهي تجيب :

— إنه نوع من الأداء المسرحي ، يعتمد على طبقات

صوتية مرتفعة ، وحركات رشيقة .

سألها في اهتمام :

— أنت مطربة ؟

أحنت رأسها في أسي ، وقالت :

— كنت راقصة باليه .

سألها في حيرة :

— كنت ١٩ .. وهل اعتزلت ؟

خجلت إلى أننى ألمح دمعة تترقرق في عينيها ، وهي

تخفض رأسها ، وتجيب :

— نعم .

حاولت أن أبتسم ، وأنا أسألها :

— في مثل هذه السن الصغيرة ١٩ .. كنت أعضد

أنكنّ تعزلن بعد الثلاثين على الأقل .

***** ٢٥ *****

لم تجب هي عن تساؤلي ، وإنما انتفض جلي ،
عندما صرخت والدتها من خلفي في جزع :
— دكتور (فوزي) .

استدرت إليها في دهشة .. ولم أفهم سر كل هذا
البحر في عينيها .. لم أفهمه قط ..
كان وجهها شاحباً ، وجدها ينتفض ، حتى كاد
كوب الشاي الذي تحمله يسقط من يدها ، فأسرعت
الخطى ، وأنا أجدق في وجهها بدهشة وحيرة وتساؤل ،
ولا ريب أنها فهمت ما تعنيه نظراتي « فأمسكت بلي ،
وقالت وهي تنظر في عيني بنظرات ضارعة :

— ما رأيك أن تتناول الشاي في ردهة المنزل ؟
لم أفهم سر دعوتها هذه ، ولكنني أجبت :
— حسناً يا سيدتي .. دعينا نفعل .

تبعنا في آلية إلى الردهة « وجلست في المقعد الذي
أشارت إلي به ، وجلست في لفة وترقب في انتظار
كلماتها ، ولكنني فوجئت بها تبتكي في صمت « وهي
تنظر إلى عيني مباشرة « فارتجف قلبي وأنا أسألها :

***** ٢٦ *****

— ماذا بك يا سيدتي ؟ ما الذي يحزنك إلى هذا
الحد ؟

ظلت تمحلق في وجهي لحظة ، بعينيها اللامعتين ،
ثم قالت في حزن انفطر له قلبي ، وصرخت له خلاياي
الأم ، وانهارت له نفسى لوعة :

— هناك أمر ينبغي أن تعلمه ، ما دمت طيب
(فاتن) المعالج يا دكتور (فوزي) .. إن (فاتن)
مفعلة .. قعيدة الفراش منذ عامين كاملين .

• • •



***** ٢٧ *****

لم أشعر في حياتي كلها بكل هذا الألم والحزن ،
والعذاب ، الذي شعرت به وأنا أسمع هذا التصريح من
لم أم (فاتن) ..

أم أرق مخلوق في الوجود ..

لم استطع أن أصدق ..

هذا العصفور الرقيق الوديع الجميل جريح ١١ ..
هذا الجمال الذي لم أر مثله في حياتي فبعد فرائض

المرضى ..

لم أشعر بدموعي وهي تسيل من صيني ..

لم أشعر بها حتى قالت والدتي (فاتن) :

.. لا تبك يا دكتور (فوزي) .. لقد اعتدت

أنا الأمر ، واعتادته (فاتن) ، ولن تلبث أن تعتاده
أنت أيضاً .

لم أحاول كبت دموعي ..

تركها تهمر في غزارة ، وأنا أنغم في لوحة :

جففت هي دموعها ، وقالت وهي تنهد في حزن :

- (فاتن) هي ابنتي الوحيدة يا دكتور (فوزي) ،

أنجبتها بعد سبع سنوات من زواجي ، وكان زوجي ،

وهو ابن عمي أيضاً ، إنسان رقيق عطوف ، تزوجني

وأنا في السادسة عشرة من عمري ، ونحمرني بحبه وحنانه ،

حتى أصبحت سعادته هي كل أمل في الحياة ، وبعد

زواجنا بعام كامل ، بدأت العائلة تتساءل عن سر عدم

إنجابنا ، وكان هو يواجه تساؤلهم هذا بلا مبالاة ، ويعتمد

إحاطتي بمزيد من الحنان والعطف ، ولكنني كنت ألمح

رغبته في الإنجاب ، من خلال حبه لكل أطفال العائلة ،

وسعادته الغامرة وهو يلذعهم ، وهداياه التي يغلفها

عليهم في مخاض ، وكنت ألمح دائماً الحزن في عينيه .

وهو يفعل ذلك .. كنت أعلم أنه يتوق إلى طفل من

صلبه ، يمنحه كل هذه القدرة على العطاء والحب .

تهدت ، وصمتت لحظة ، ثم عادت تستطرد :

— لم أستطع الوقوف مكتوفة اليدين « أمام حبه الشديد للأطفال « فطلبت منه عرضي على طبيب متخصص ، وبعد إلحاح شديد مني ، وبعد أن تغلب عليه حبه للأطفال ، ذهبنا معاً إلى الطبيب ، الذي أجرى لكل منا الفحوص اللازمة ، ثم قرّر أن زوجي سليم ، وأتني أحتاج إلى بعض العلاج الطبي ، حتى يمكننا الإنجاب .

لحقت الدموع تعود لتترقق في عينيها ، ولكنني لم أحاول مقاطعتها ، فقد كنت شغوفاً لمعرفة القصة ، واستمرت هي تقول :

— بكيت يومها طويلاً ، ورجوته أن يبحث عن زوجة أخرى ، تمنحه الطفل الذي عجزت أنا عن منحه ليلاه ، ولكنه رفض في شهامة « وأجابني أن هذا قلره ، وأنه يتقبله صاغراً ، وأنه سيستظر نتائج العلاج .

سالت دمة حزينه على وجتها ، وهي تستطرد :

— طال العلاج خمس سنوات كاملة ، لم يتوقف

***** ٢٠ *****

زوجي خلالها عن عمري بالحنان والحب والعطف ، وأنا أبكي كل ليلة ، بسبب إحسامي بالتقصير تجاهه ، وهو يقاوم حبه للأطفال ، ورغبته في الإنجاب ، وإلحاح عائلته بالزواج من أخرى .. قاوم كل هذا بشهامة نادرة ، وبرجولة جعلت حيي له بتضاعف كثيراً ، واحترامى له يبلغ الذروة ، وحينما وصلت أنا إلى قمة اليأس ، فوجئت بأنني حامل .

رفت ابتسامة شاحبة على شفتيها ، وشردت ببصرها ، وكأنها تستعيد ذكرى هذه اللحظة ، ثم تابعت :

— كاد زوجي يحنّ فرحاً ، حينما أبلغته الأمر ، وانطلق في فرح غامر يزف البشري لكل أفراد عائلته ، وكأنه يؤكد لم خطأ نصائحهم السابقة ، وأحاطني برعاية فائقة ، فلم يكن يجعلني أغادر الفراش ، أو أبذل أدنى مجهود ، وهو يتابع في فرح تطور الحمل ، حتى جاءت لحظة الميلاد .. ميلاد (فاتن) .

ارتجف جسدي وأنا أسمع اسم (فاتن) ، وكأنما

***** ٢١ *****

يبحث اسمها في كل مرة مزيداً من الحرارة في عروقي ،
وأصغيت لها وهي تتابع :

— كان زوجي يرقص فرحاً ، وهو يضم (فاتن)
إلى صدره لأول مرة ، وامتلات ملامحه بفرحة الدنيا
كلها ، وهو يوزع الحبات في مخاء « على العاملين
بالمستشفى ، احتفالاً بمقدمها ، وشمرت أنا بسعادة
لا حصر لها ، لأنني منحتة أخيراً ما يصبو إليه ، وبدأت
(فاتن) تنمو ، وهو يرعاها في اهتمام وسعادة ، حتى
بات هو أكثر من يجيد العناية بها ، ولم أر في حياتي
كلها رجلاً أضاع السعادة حياته كلها ، بقدر ما رأيت
زوجي ، عندما نطقت (فاتن) بكلمة (بابا) لأول
مرة ، ولا فرحاً غامراً كاللذي تملكه عندما نطقت
بخطوتها الأولى .. كان ينتقي لها ثيابها بنفسه « ويعني
بزيئتها ، ويفخر بها وهي تسير إلى جواره ، ويقضي
معظم وقت فراغه في مداعبتها ، وتلقينها كلمات جديدة ،
والتصقت به هي بدورها ، وأنا أزداد سعادة لسعادته ،
وأفرح لفرحه ، وهو يذهب بها إلى المدرسة لأول مرة ،

*** ٢٢ ***

ويتابع دروسها في اهتمام ، ويشرح لها ما يستغلق عليها
فهمه ، وأصبحت روحه ، وأصبح روحها .

عادت إلى الصمت مرة أخرى « وجففت بعضاً
من دموعها ، وتهدت ، وعادت تقول :

— وعندما بلغت السابعة ، بدأ يلقيها دروس
الموسيقى ، والباليه ، ويسعد برؤيتها وهي تؤدي لتربياتها
أمامه ، ويرقب نموها في لحظة ، واكتسبت هي منه ،
ومن الموسيقى والباليه رقة وعلوبة ، جعلها فراشة
جميلة ، وهي تخطو إلى عتبات الأنوثة ، وكان هو دوماً
فخوراً بها « يعاونها على تنمية مواهبها ، والتفوق في
دراساتها ، حتى التحقت بمعهد الباليه ، وأظهرت نبوغاً
وتفوقاً ، جعلها ترتقي بسرعة ، وتحصل على جائزة
كبيرة « في أول أوبريت تشترك فيه ، وأقام لها هو
حفلاً كبيراً بهذه المناسبة و ...

بذرت عبارتها فجأة ، وزلزلت في قوة ، ثم لاذت
بالصمت ، ومحرت الدموع وجهها ، واحترمت

*** ٢٢ ***
(زهور - ٢ - المصفر الجريم)

أنا حزنها وصمتها ، على الرغم من لطفي لسماع القصة .
إلى أن عادت تواصل قصتها ، قائلة :

— بعد هذه الجائزة بأسبوع واحد ، بدأت
أعراض المرض تدهم (فاتن) .. بدأ الأمر بصعوبة في
الحركة ، وعدم القدرة على أداء الحركات الصعبة ، التي
فازت من أجلها بالجائزة ، وأنضت هي الأمر بعض
الوقت ، خوفاً من إزعاجنا ، ثم لم تلبث أن أعلنته ،
عندما أصبحت تجد صعوبة في المشي نفسه ، وانهار
زوجي .. شحب وجهه ، وتهدل « وهو يعدو بها من
طبيب إلى آخر ، وينفق مديراته كلها من أجل علاجها ،
وأجمع الكل على أن مرضها نوع من الضمور العضلي »
مجهول المنشأ ، وعزاء البعض إلى قرابتي لزوجي ، وإلى
حوامل وراثية لم نفهم تفاصيلها ، وزوجي يزداد انهياراً
وحيرة وألماً وعذاباً ، و (فاتن) تزداد مرضاً ، حتى
باع زوجي أملاكه كلها ، ولم يعد يمتلك شرو نقير ،
وأقعدت (فاتن) تماماً .. لم تكن تشكو أو تبكي ،
وإن أظلل الحزن عينيها بظله .. كانت تتعذب ، وترفض

أن تنقل إلينا عذابها ، ولكن قلب والدها لم يحتمل كل
هذا العذاب والألم والحزن « وذات ليلة انفطر قلبه ،
وانتقل في هدوء إلى جوار ربه .

توقفت عند هذه النقطة ، وبكت ..

بكت تلك السيدة العظيمة ذكرى زوجها ..

أنا أيضاً بكيت ..

بكيت بمزيج من الحزن والألم ، وتأنيب الضمير ..

تذكرت كيف كنت أتحدث إلى (فاتن) عن

العصفور السجين ، دون أن أدري أنها هي أيضاً عصفور

جريح ، يرقل في سجن جسد عاجز عن الحركة ..

تذكرت حديثنا ، وبكيت ..

تذكرت كيف آلمتها ، وآثرت أشجانها بحديثي

عن اعتزالها ، وعدم نهوضها من الفراش ..

شعور عميق بالعذاب امتلك مشاعري ، ورغبة قوية

في إسعاد هذا العصفور الرقيق الجريح ..

لم أعد أدرس نوعية العاطفة « التي أشعر بها نحوها .

أصبحت أومن أنني أحيا ..

وأنا حييني ..

كدت أصرح بذلك لأميها ، لولا أن قالت في
أمي :

— تصور أنني استندت ، لأقيم لزوجي جنازته .

نعمت في ألم :

— استندت ١٩

أمرحت تقول :

— في البداية فقط ، ثم فوجئت بأصدقاء زوجي
الراحل « يفعلون إلى منزلنا بالعشرات ، وكل منهم
يعطيني مبلغاً كبيراً من المال ، ويؤكد لي أنه كان قد
استدان من زوجي قبل وفاته « بل إن بعضهم بالغ ،
فقال إنه تأخر في السداد لظروف طارئة ، وأبدي
البعض الآخر اعتذاره عن عدم سداد المبلغ للمرحوم
قبل وفاته .. كنت أعلم أنهم يفعلون ويقولون ذلك ،
حتى يتمكنوا معاوتني ، دون جرح كرامتي وكبريائي ،

ولقد قبلت معاوتهم ، وأنا أنظاها بتصدقهم ، لأنني
كنت أحتاج حقاً للمال .

لاح على شفتيها شبح ابتسامة ، وهي تستطرد :
— كان — رحمه الله — شهياً كريماً عظيماً ، وكذلك
كان أصدقاؤه .

نعمت في شرود :

— الطيور على أشكالها تقع :

أومات برأسها إيجاباً ، وقالت :

— نعم .. ولقد عاونني المبلغ الكبير ، الذي منحوني
إياه على شراء ما كفيتي خياطة وتريكو ، وامتنت تفصيل
الثياب بالأجر ، حتى أحصل على تكاليف معيشتنا ،
ومصاريف العلاج لـ (فاتن) ، فلم يكن زوجي
— رحمه الله — موظفاً ، ولم يترك لنا معاشاً نتقوت به .
ساد الصمت بيتنا تماماً « لفترة طويلة ، ثم قالت
والدة (فاتن) في حنان :

— لست أدري لم أخبرتك كل هذا يا دكتور

٤ - المحاولة ..

قضيت النهار التالي كله .. وأنا أستشير كبار أطباء
المستشفى الجامعي - حيث أعمل - عن حالة (فاتن) ،
وعن الأمل في الشفاء .. واحتمالاته ..

لم تكن آراؤهم مشجعة ، ولكن أحدهم لم يجزم
باستحالة الشفاء ، فتطور الطب ووسائل العلاج لا يتوقف ،
وكل يوم يظهر جديد ، ويتحطم مرض آخر أمام إصرار
البشر وإرادتهم ..

كنت أحتاج أولاً إلى إرادة (فاتن) ، ورغبتها في
الشفاء ، وإلى قدر كبير من المال ، والجهد ، والعرق ..
وسأمنحها أنا كل هذا ..

عرضت الأمر على والدتها في المساء ، فتأملت
ملاحي في قلق ، وقالت :

- هل تعتقد أنه هناك أمل يا دكتور (فوزي) ؟
أجبتها في حماس :

- قلبي يمتلئ به يا أماء .. ولكننا نحتاج إلى فترة من

(فوزي) .. ولكنني شعرت بنحوك بارتياح خاص ..
وأنا واثقة أن هذا شعور (فاتن) أيضاً .

لم أدر ماذا أقول ، وظللت أحدى في وجهها
لحظة ، ثم هتفت في حماس مفاجئ :

- سنشفى (فاتن) يا أماء .. وسأحيا من أجل هذا
الأمل وحده .

...



العلاج الطبيعي ، فقد رقدت (فاتن) طويلاً في فراش
المرض ، وأخشى أن تكون عضلات ساقيها قد ضمرت ،
أو تكون مفاصل قدميها وركبتيها قد تيبست و ...

قاطعتني في أمل :

— كلاً .. إني أجرى لها تدليكاً يومياً ، منذ
لازمت الفراش ، فقد نبهني طبيبها المعالج إلى ذلك .
هتفت في سعادة :

— هذا عظيم .. سيوفر هذا وقتاً كثيراً ، وسيفضمن
نتائج أفضل .

شملها الحماس ، وقالت في لهفة :

— هل تعتقد ذلك ؟

أجبها في إخلاص :

— بكل ثقة .

لم تكن نفسي حقاً تمتلئ بكل هذه الثقة التي
أردت منحها إياها ، ولكنني كنت أعرف أن أولى
خطوات العلاج هي الأمل .. الأمل للجميع ..

***** ٤٠ *****

قابلت (فاتن) وأنا أبثسم هذه المرة ، وهي أيضاً
استقبلتني بابتسامتها الرقيقة البشوش ، وهي تقول :
— لماذا تأخرت يا دكتور (فوزي) ؟ .. إني
أنتظرك منذ الصباح .

ألحجت عبارتها صدرى ، وبعثت في نفسي سعادة
جدة ، فهتفت وأنا أجلس على المقعد المجاور لفراشها :
— كيف حال عصفوري الصغير ؟

تفرج وجهها الجميل الرقيق بحمرة الخجل ، وهي
تقول :

— لقد افتقدتك .

لم أصدق أذني ..

هي تفتقلني !! ..

ذلك العصفور الرقيق يشعر بالحاجة إلى !! ..

كدت أضربها إلى صدرى ، وأهتف متادياً إياها
بلقب (حبيبتى) ، لولا أن تذكرت المهمة التي أبيت
من أجلها ، فهست في حنان :

***** ٤١ *****

— هل تقبلين اعتذارى عن حوار أمس ؟ ..
لم أكن أعلم ..
أومأت برأسها موافقة ، وهى تبسم أرق ابتسامة
رأيتها فى حياتى ، وتقول فى صوت كشدو البلابل :
— إننى أغفر لك كل شيء .

يا لسعادتى !!
لقد ربطت تلك العاطفة بين قلبينا فى آن واحد ..
أصبحنا عصفورين يضمهما أمل واحد ..
وجدت نفسى أميل نحوها فجأة ، وأسألها فى
حرارة :

— هل تريدن الشفاء يا (فاتن) ؟
خفضت عينيها « وهى تبسم ابتسامة مريرة ،
وتقول :

— لا أريد التعلق بأمل واهٍ .
— ولكن ينبغى أن نحاول .
— لقد اعتدت عجزى ، وأخشى أن أتعلق بالأمل ،
ثم ينهار ، فأعود مرة ثانية إلى نقطة البداية .

***** ٤٢ *****

— لا حياة مع اليأس .
— ليس يأساً ، ولكنه اعتراف بالواقع .
— يمكننا أن نغير الواقع بإصرارنا وإرادتنا .
— ربما .. ولكننا نصنع واقعاً جديداً .
— وإذا وعدتك بالشفاء ؟

تطلعت بعينيها الساحرتين فى عيني ، وسألتنى فى
حيرة وتردد :

— هل أنت جاد ؟
لم أشعر إلا وأنا أتناول كفها الرقيق فى راحتي ،
وأقول فى حماس :

— أنا طيب يا (فاتن) ، ولا أنطق إلا بما أؤمن به .
شعرت بالأمل وهو يتسلل إلى صوتها ، وهى تقول :
— هل سأعود لأمشى على قدمي من جديد ؟
— أجل .

— وسيمكننى أن أئنزه بين الحدايق ، وأسير على
شاطئ البحر ؟
— سنسير معاً .

***** ٤٣ *****

— وأجرى ؟

— وستسبقين بطل العالم في العدو .

— وأرقص الباليه ؟

أسعدني ذلك الشعور الجميل بالأمل ، الذي ملأ
نفسها ، فقلت في حب :

— هذا يتوقف على إرادتك ومعاونتك يا (فاتن) ،
ولكنني أريدك أن أكون أول من يصفق لك ، وأنت
تؤدين رقصتك الأولى على المسرح .

قبضت براحتها على كفي ، وهضت في حماس :
— أنا رهن إشارتك .

وبدأ العلاج ..

كانت (فاتن) تبدي إرادة فولاذية ، ورغبة
عارمة في الشفاء ، ولكن حالة ماقبها كانت أكبر
مما اعتقد ..

ومضى شهر كامل ، دون أن تتحسن حالة (فاتن)
خطوة واحدة ..

***** ٤٤ *****

وبدأ الأمل يزايدها ، ولم تعد تستجيب للعلاج
بالحماس نفسه ..

وخلال هذا الشهر انتهت فترة الامتياز بالنسبة لي ،
وحصلت على ترخيص مزاولة المهنة ، ورشحتني
تقديري الممتاز للحصول على وظيفة نائب بأحد أقسام
المستشفى الجامعي ، وبلا تردد اخترت قسم المخ
والأعصاب ..

قررت أن أهب حياتي كلها للدراسة حالة (فاتن) ،
وعلاجها ..

وذاث يوم ، وأنا أصحبها فوق مقعد متحرك إلى
قسم العلاج الطبيعي ، هضت في ضجر :
— لقد مللت هذه الرياضة الإجبارية .

قلت في حنان :

— لا تفقدى الأمل يا (فاتن) .

صاحت في حنق :

— أي أمل هذا ؟

ثم تسلت النعوع من عينيها ، وهي تقول في قهر :

***** ٤٥ *****

— إني لا أتقدم خطوة واحدة ، على الرغم من كل ما أبذله من جهد .

لم أستطع أن أجد جواباً ، وتمزق قلبي مع أحزانها وبدون أن أدري ، وجدت نفسي أهتف بصوت مرتفع :
— مستشفين يا (فاتن) .

سمعت فجأة صوتاً هادئاً من خلفي ، يقول :
— لست أشك في هذا .

التفت أنا و (فاتن) إلى مصدر الصوت في دهشة ، ورأيت صاحبه ..

كان نائباً في قسم العلاج الطبيعي ، يكبرني بعام واحد ، ولكنه يختلف عني في كل شيء ..
هو طويل القامة ، وسم الملامح ، له شعر أسود غزير ناعم ، ووجه مستطيل متناسق ، انتظم فوقه حاجباه الغليظان ، وأنفه المستقيم ، وعينه العسلتان .

كان يبدو هادئاً واثقاً ، وهو ينطق عبارته هذه ، حتى أن (فاتن) لم تنطق بكلمة واحدة ، وهي تتأمله ، في حين انحنى هو حتى اقترب وجهه من وجهها ، ونظر

في عينيها مباشرة ، وهو يقول في صوت قوى التبرات :
— كيف تتصورين أن حالتك لم تتقدم ؟ .. نحن الذين نقرر هذا لا أنت ، ولو سألتني رأياً طبيعياً خالصاً ، لقلت إني أتفاءل بحالتك جداً .

امتلاً وجهها بالدموع ، وهي تغمغم :

— هل تؤمن بذلك حقاً يا دكتور (شريف) ؟
اعتدل وهو يقول في حزم :

— كل الإيمان ، واليوم بالذات ستتحرك عضلاتك أول حركة .

لم تحر (فاتن) جواباً ، وكسلت أنا ، والتقط (شريف) مقبض الكرسي المتحرك ، وقاد (فاتن) في هدوء إلى حجرة العلاج الطبيعي ..

استسلمت له (فاتن) تماماً ، وهو ينقلها إلى أحد الأجهزة الحديثة ، ثم سمعته يقول في صرامة :
— ادفعي هذه العجلة بقدميك .

قالت (فاتن) في ألم :

■ - خطوات في الهواء . . ■

لا يمكنني أن أصف ذلك الفرح ، الذي ملأ قلوبنا
جميعاً في تلك الليلة ..

أم (فاتن) ظلت تبكي ساعة كاملة ، وهي تحضن
ابنتها ، وتقبلها ..

(فاتن) نفسها بدت وكأنها أسعد مخلوق على سطح
الأرض ، وهي تضحك كثيراً ، وتشرّد قليلاً ، دون
أن تفارق الابتسامة شفيتها ..

أما أنا فلن أصف سعادتي ، فقد كانت لا توصف ..
احتفل ثلاثتنا بخطوة (فاتن) الأولى ، حتى
متصف الليل ، وحينما كنت أستاذن والدتها في
الانصراف ، أمسكت هي بكفي في امتنان ، وقالت :
- أنت الذي عاونتي على ذلك .

انحنيت نحوها ، وقلت في سرور :

- إرادتك هي التي فعلت ذلك .

ضحكت في مرح ، وقالت :

■ * * * * * ٥٠ * * * * * ■

- إنها البداية ، ومترى كيف ستتطور الأمور .
نسيت وجود والدتها ، أمام عواطف الجياشة ،
ومست وجنة (فاتن) بأنامل ، وأنا أقول في حنان :
- أنت تستحقين كل خير يا (فاتن) .

ومنذ ذلك اليوم ، بدأت (فاتن) تحرز نتائج رائعة
في العلاج ..

بعد أسبوع واحد ، بدأت تحرك ساقيها في الهواء ،
وتخطو بهما خطوات وهمية ..

وفي الأسبوع الثاني ، أمكنها أن تستند إلى ذراع
(شريف) ، وتلوس الأرض بقدميها ..

وفي الأسبوع الثالث ، بدأت تخطو وهي تنشب
بقائم مثبت على الحائط ، كطفل يتعلم المشي لأول مرة .

وفي الأسبوع الرابع ، سارت (فاتن) وهي
تستند إلى عكازين ..

كان الوصول إلى هذا المستوى وحده يعد معجزة
بالنسبة لحالتها ، ولكنها كانت تطمح في المزيد ..

■ * * * * * ٥١ * * * * * ■

قالت لي وأنا أزورهم في تلك الليلة :
— ما رأيك في تطور حالتى الآن ؟

قلت في حماس :

— رائحة .

سألتني في اهتمام شديد :

— هل سأعود لرقص الباليه ؟

ابتسمت في حنان ، وأنا أتمسك شعرها ، قائلا :

— یا ذن الله یا (هاتن) .

تثبيت بلراعي ، وقالت في هفة :

— هل سبق إلى جوارى ، حتى أفل ؟

رَبِّتْ عَلَى كَفِّهَا الرِّقِيقَةَ ، وَقُلْتُ فِي إِخْلَاصٍ :

— لن أتركك أبداً يا (فاتن) .. أبداً .

مہرت لیلتی کلہا أفکر فی عبارتہا ھلہ ..

نری اُکانت اعترافاً منها بحبها لی ۹..

لقد نطقها في إخلاص وصدق حقيقيين ، فهل

کانت محاول دفعی للتفكير ۹..

دفعني إلى نطق الكلمة . التي تتعثر دائماً فوق
شفتي ..

كلمة (أحبك) ..

ظللت طوال الليل أقلب الأمر في رأسي ، ولم يكده
بشرق الصباح ، حتى كنت قد اتخذت قرارى ..

قررت السفر إلى بلدي ، ومفاتيحه والدي في أمر
زواجي منها ..

وقد كان -

جلس والذى يستمع الى الأمر فى هدوء واهتمام ،
حتى انتهت من حديثي ، فبرز رأسه فى ضيق ، وحرك

مسببته أمام وجهي ، وهو يقول برزائته المعتادة :

— حذار یا (خوڑی) .. ان ما تشر بہ تجاہ ہلہ

الفنائة ، ليس حباً كما قد تتصور ، ولكنه شعور الشفقة
أمام عجزها ، وجمالها .

تَمْلِكُنِي الْغَضَبُ وَأَنَا أَقُولُ :

— لست طفلاً لا يجيد تمييز عواطفه يا أبتاه .

أجابني في هدوء :

— على عكس ما تظن يا ولدي .. إن الطفل هو أكثر
من يجيد تمييز عواطفه ومشاعره ، فهو يلتقطها في بساطة ،
ويعبر عنها بأسلوب مباشر ، لا مداراة فيه ولا خداع .

قلت في توتر :

— حسناً .. فلنعد إلى موضوع (قاتن) .

أشعل والدي سيجارته ، ونفث دخانها في هدوء
وصمت ، ثم قال :

— أرى أن تتروى قليلاً يا ولدي .. فربما اختلفت
مشاعرك .. بعد أن تشق (قاتن) هذه تماماً .

قلت بلهجة عصبية :

— لقد أحبتها عاجزة ، ولن تتغير مشاعري بعد
شفائها .

هز كتفيه ، وهو يقول في هدوء :

— ربما تبدلت مشاعرها هي .

هتفت في حلق :

— إنها تحبني .

سألني بهدوئه ، الذي يثير أعصابي :

— هل صرحت لك بذلك ؟ ..

ارتبكت لحظة لسؤاله المباشر هذا ، ثم لم ألبث أن
قلت في عناد :

— إنها لا تحتاج للتصريح المباشر ، فتعاملها معي ،
وحديثها ، ونظراتها ، تؤكد أنها تبادلني الحب .

مطّ شفتيه « وهو يغمغم :

— حديثها ونظراتها ١٩

ثم مال نحوي ، وأردف في هدوء :

— سأنصحك نصيحة يا ولدي ، ما دمت تمنين

الطب .. فهناك ما يسمى برابطة الامتنان ، التي تنشأ بين
المريض ، والطبيب المعالج له ، خاصة إذا ما شعر

المريض بالجهد الذي يبذله الطبيب من أجله « ولو أن

المريض أنثى ، فإن هذه الرابطة تتخذ صورة حب

وهي زائف ، لا يلبث أن يتلاشى ، بعد أن تتماثل

المريضة للشفاء .

لوحت بكفى ، وكأنتى أطرد الفكرة ، وأنا أقول :
— هراء .. إنه مجرد فلسفة .

تهجد فى ضيق ، وقال :

— ربما ، ولكنتى أنصحك بالترىث .

زفرت فى حق ، وأنا أقول :

— لقد أتيت أطلب منك أن تصحبى نخطبتها

يا والدى .

ابتسم وهو يقول :

— صدقتى لم يمن الوقت بعد يا (فوزى) .

نهضت من مقعدى فى حدة ، وأنا أقول فى غضب :

— سأخطبها لنفسى إذن ، ما دمت ترفض مصاحبى .

ظهر الغضب على وجه والدى ، وقال وقد قرّنته

هلهوعه :

— تخطبها لنفسك ١٩ .. هل نسيت أنك ما زلت

تقيم فى شقة أَدفع أنا إيجارها ، وأن مرتبك لا يكفى

للإنفاق عليك وحدك ، فما بالك بالزواج ؟

عقدت عبارته لسانى ، ونبهتنى لنقطة غابت عني ،
فى خضمّ مشاعرى ..

كيف يمكننى أن أتزوج ، ولم أستطع إحالة نفسى
بعد ٩ ..

كانت هذه العقبة أكبر من كل محاولات أبى ،
لإقناعى بنظرية عن (رابطة الامتنان) ..

أطرفت برأسى فى حزن ، على حين تهجد أبى فى
ارتياح ، وهو يظن أنه قد هدم عنادى بمنطقه الجديد ،
وعاد يقول فى حنان :

— لا تجعل هذه العقبة تقلقك ، سأعاونك على
الزواج ، حينما يحين الوقت .

شعرت بغضب يعربد فى أعماقى ، وقلت فى حق :

— أنت تحاول فرض سيطرتك الاقتصادية إذن .

تطلع إلى والدى فى دهشة ، ونحنم فى ألم :

— سيطرة اقتصادية ١٩ .. لماذا تلجأ إلى هذه

العبارات والمفاهيم المعقدة يا ولدى ، إن كل ما أسعى

إليه هو

أضافت هذه العقبة المادية الجديدة عبئاً شديداً على حياتي ، التي أصبحت زائخة بالعمل ، حتى أنني لم أعد أجد وقتاً كافياً لزيارة (فاتن) ...

قبلت عملاً في عيادة أحد كبار الإخصائيين ، في مجال جراحات المنغ والأعصاب ، استنزف جزءاً كبيراً من وقتي ، إلى جوار استذكارى لنيل درجة التخصص ، والمماجستير ، ومتابعتي تطور حالة (فاتن) تحت إشراف الدكتور (شريف) ..

كان وقتي مشحوناً دائماً ، ولكنني احتملت كل هذا من أجلها ..

من أجل عصفوري الرقيق ..

كانت قد تخلت أخيراً عن العكازين ، ونجحت في السير ببطء ، وبخطوات متعثرة ، وكان هذا تطوراً يستحق الاحتفال ، ولقد أعدت والدتها كعكة كبيرة بهذه المناسبة ، وأنهيت أنا عمل مبكراً بعض الشيء ،

قاطعت وأنا أنهض في عصبية :

- سأؤجل خطبتي لـ (فاتن) يا أبي .. سأؤجله حتى أصبح قادراً على إعالتها وحدي ، دون معاونة منك . ثم أسرعت أغادر المنزل ، وقد زاد إصراري على الزواج من (فاتن) .. من فاتنة عمرى .

...



في العبادة التي أعمل بها ، ثم أمرت إلى هناك ، حيث
استقبلتني (فاتن) بابتسامتها الرقيقة التي تمحو من قلبي
دائماً كل أثر للتعب ، وقالت وهي تتطلع إلى ملاحي
في حنان :

— يا إلهي !! إنك تبدو مرهقاً ، وقد ازدادت
نحولاً عن ذي قبل ، لا ريب أنك تبذل جهداً كبيراً
في العمل .

ابتسمت وأنا أقول في حنان محائل :

— لا يقلقك هذا الأمر .

هبت في حجاب :

— كيف تطلب مني ذلك ؟.. إنك تبذل من أجل
جهوداً خارقاً منذ عام كامل .

أدهشتني عبارتها ، فغمضت في شرود :

— يا إلهي !! هل مضى عام كامل ، منذ أول

لقاء لنا ؟

ضحكت في مرح ، وهي تقول :

***** ٦٠ *****

— تصور .

ثم عادت تردف في حنان :

— لقد فعلت من أجل الكثير .

قلت وأنا ألتقط كفها الرقيقة في راحتي :

— إنني أبجد سعادة جمة في ذلك .

تطلع كل منا في عيني الآخر لحظة ، ثم أطلقت
ضحكة مرحة واضحة الافتعال ، وهي تسحب كفها

من راحتي ، وتسألني في ارتباك :

— كيف حال دراستك ؟

فهمت أنها تحاول الفرار من الموقف ، فأجبتها
في هدوء :

— سأؤدى امتحان الجزء الأول من الماجستير ،

في إبريل القادم .

عادت تسألني ، وهي تفرّ بعينيها من عيني :

— وهل تستذكر جيداً ؟

ابتسمت ، حينما ذكرني سؤالها بأسئلة والدي ،

وأنا طالب في المرحلة الثانوية ، وقلت :

***** ٦١ *****

— نعم .

كدت أفصح لها عن مكتون قلبي في هذه اللحظة ،
لولا أن وصلت والدتها ، وهي تحمل الكعكة المزدانة
بالكريمة ، وقالت في سعادة :

— من يحب أن يتذوق أول قطعة ؟

هلت (فاتن) في سعادة كالأطفال ، وهتفت في

مرح :

— سنقسمها أنا و (شريف) و ...

بترت عبارتها فجأة ، بعد أن ارتجف قلبي في قوة ،
واستدارت إلى في خجل ، ولا ريب أن الألم والدهشة ،
الذين ارتسا على وجهي قد أربكاها ، فقد تلعثمت ،
وهي تغتم في اعتزاز :

— معلرة يا دكتور (فوزي) .. يبدو أن لقائي

مع الدكتور (شريف) يومياً ، في قسم العلاج الطبيعي ،
قد جعل اسمه يقفز إلى لساني و ...

قاطعتها وأنا أقول في خشونة لم أتعلمها :

***** ٦٢ *****

— لا عليك .

يبدو أن والدتها لم تلاحظ ما لحظته هي ، فقد قالت
لها في عتاب :

— لقد نهتني إلى نقطة غابت عن ذهني يا (فاتن) ،
أما كان ينبغي أن ندعو الدكتور (شريف) إلى هذا
الحفل الصغير ، إنه أيضاً يبدو من أجلك الكثير .

اختلفت (فاتن) النظر إلى وجهي ، وكأنها تبحث
عن رد فعل لموقف والدتها ، وتعمقت في ضيق :
— سأدعوه في الحفل القادم بإذن الله .

قطعت والدتها الكعكة ، ووزعتها علينا ، وجلست
صامتاً ، أتناول قطعتي ، دون أن أشعر بمذاقها ، في
حين أخذت (فاتن) تختلس النظر إلى ، من وقت إلى
آخر ، وقد شملها الصمت مثل تماماً ..

لم أكد أنتهي من التهام قطعة الكعك ، حتى تعللت
بامتدكار دروسي ، وطلبت الانصراف ، وشيعتني
(فاتن) إلى باب شقتها ، ونصافحنا في هدوء ، دون

***** ٦٢ *****

أن تتبادل كلمة واحدة ، ثم هبطت إلى شقتي ، وأنا أشعر
بحق شديد ..

كنت أشعر بعاء جديد أضيف إلى كاهلي ..
عبء ذلك الشعور القديم المعروف باسم الغيرة ..
كنت أنساءل : هل من الطبيعي أن تخط (فاتن)
بين اسمي ، واسم (شريف) ؟ ..

أخذت أستعرض وسامة (شريف) ، ورجولته
في ذهني ، ولم يلبث هذا الاستعراض أن ملأ نفسي
بمزيد من الغيرة ..

من الطبيعي أن تقع فتاة رائعة مثل (فاتن) في
حب شاب مثالي كـ (شريف) ..
شعرت بعصبيتي تزايد ، وأنا أتصورها غارقة
في حبه ..

قضيت الليل كله وأنا أفكر في هذا الأمر ..
من المألوم للمحب أن تناديه بحبوبة باسم آخر ..
إنه يسعد إذا ما حدث العكس ، ويفرح لأنها تنادي
الآخرين باسمه ..

***** ٦٦ *****

ولكنه يتمزق حينما تناديه هو باسم آخر ..
شعرت لحظة أن أفكاري مراهقة رجعية ، ولكنني
لم أستطع كبت شعوري بالحلق والغيرة ..

في الصباح التالي أوصلتها إلى قسم العلاج الطبيعي ،
دون أن تتبادل كلمة واحدة ، ثم ذهبت أنا إلى قسم
المخ والأعصاب حيث أعمل ..

ظللت شاردا طوال الوقت ، ولم أستطع التركيز في عملي ..
كنت أتصورها مع (شريف) في أوضاع عاطفية
تثير غيوتي ..

كنت أتصوره يسبح في بحر عينيها العميق ..
عذبتني التصورات ، حتى وجدت نفسي أسرع
إلى هناك ..

إلى قسم العلاج الطبيعي ..
اندفعت إلى الداخل ، دون أن أطرق الباب ، ثم
تسممت في ألم وذهول ..

كان (شريف) يمسك كفها الرقيقة في حضان ..

***** ٦٥ *****

(زهور - - - - - النصف نور الجريح)

وهي تنظر إلى وجهه نظرة تشف عن اهتمام وحب ..
أو هكذا خيّل لي ..

لم يكده كلاهما يلمحني ، حتى تورّد وجهها خجلاً ،
في حين ابتسم (شريف) ، وهو يقول في هدوء ، دون
أن يترك كفها :

.. مرحباً يا دكتور (فوزي) .. هل رأيت كيف
حققت مريضتك المعجزة ، بتقدمها في العلاج على هذا
النحو ؟ ..

لم أجبه بكلمة واحدة .. بل ظللت أتطلع إليهما
في ألم ، حتى جذبت (فاتن) كفها من يده ، وسأله
في ارتباك :

— كيف نرى حال سائق اليوم ؟

أجابها في بساطة :

— رائعة .. أراهن أنك ستعودين إلى رقص الباليه ،
بعد عام واحد .

قلت في خشونة ، مقاطعاً حديثهما :

— هل انتهت جلسة العلاج اليوم ، أم أنكما
ستواصلانها ؟ ..

تبادلت هي و (شريف) نظرة ، لم يعجبني فحواها ،
ثم هزّ هو كفيه « وقال في بساطة :

— أعتقد أن هذا يكفي اليوم .
التفت إليهما ، وقلت في صرامة :

— هيا .. سأوصلك إلى المنزل .
لم تتبادل ، أنا وهي ، كلمة واحدة طوال الطريق ،
داخل سيارة الأجرة ، التي أقلتنا إلى منزلها ، وبينما
كنت أعاونها على صعود درجات السلم « فوجئت بها
تسألني في قلق :

— ماذا بك ؟

أجبتها في خشونة :

— لا شيء .

عادت تسألني في إلحاح :

— أنت شديد التوتر منذ الصباح ، أهو أمر يتعلق
بدراستك .

أحسنتى أنها لم تفهم سرّ تعاسنى ، فصمتت لحظة ،
ثم سألتها : وأنا أرقب انفعالاتها فى دقة :
— ما رأيك أن نتوقف عن جلسات العلاج الطبيعى
فى المستشفى ؟

ظهر الجزع على محامعها ، وهى تهتف :
— لماذا ؟

قلت محاولاً التأكد من سبب جزعها :
— بمكنتى أن أقنع إحدى ممرضات القسم بزيارتك
يومياً فى منزلك ، والقيام بالعلاج المناسب ، بدلاً من
انتقالك يومياً إلى هناك .

ظهرت الحيرة على وجهها ، ثم أجابت بعد فترة
من الصمت :

— فى المستشفى توجد أجهزة حديثة ، تساعدنى على
سرعة الشفاء ، و

لم تم عبارتها ، ولكننى فهمت أنها تعنى وجود
(شريف) أيضاً ، فقلت فى عصبية :

***** ٦٨ *****

— حسناً .. فليكن ما تريدن .

دققت باب شقتها ، وعاونتها على الدخول ، ثم
هممت بالانصراف ، فأمسكت ذراعى : وهى تسألنى
فى قلق :

— ألن تبقى قليلاً ؟

قلت فى توتر :

— ليس الآن ، فأماى بعض العمل .

انصرفت قبل أن أسمع منها كلمة أخرى ، وجلست
فى شقتى أزفر فى غضب ، وأفكر فى الأمر .
كيف انتزعها منى (شريف) بعد كل ما فعلته
من أجلها ؟ ..

كيف يجرؤ ؟ ..

أخلت أدور فى أرجاء الشقة كالأمم الجريح ،
وتملكنى شعور عميق بالألم ، وأنا أبحث عن حل ،
للاحتفاظ بحبيبى ..

وأخيراً اهتدى عقلى إلى حل عجيب ..

***** ٦٩ *****

٧ - المعركة ..

عدت إلى المستشفى ، وأنا أعلم أن (شريف) يقضي
(نوبتيته) هناك ..

عدت وقد اكتملت أركان خطتي ، وأصبحت
مستعداً للمعركة ..

لم يكده هو يلمحني حتى بادرتني بابتسامته ، وهو
يقول في مرح :

- مرحباً يا دكتور (فوزي) .. هل ستشاركني
(نوبتيتي) ؟

قلت وأنا أظاهر بالمرح :

- يسعدني ذلك ، ولكنني أثبت لاستشارتك في
أمر يقلقني .

ظهر الاهتمام على وجهه ، وهو يقول :

- هات ما لديك ، متجلبني طوع إشارتك .

محبته إلى ركن هادئ ، وجلسنا متجاورين .

ثم سأله أنا في اهتمام :

سأنتزعها أنا من (شريف) ..

سأنتزعها بالحيلة ..

سأشن حرباً من أجل من أحيت ..

من أجل حبي ..

من أجل (فاتن) ..

وسأنتصر على هذا العبء الجديد .



— ما رأيك في (فاتن) ؟

ابتسم ، وكأنما يسعد ذكر اسمها ، وأجاب
في هدوء :

— فتاة رائعة .

عدت أسأله :

— هل تظن أنها تصلح زوجة ؟

عقد حاجبيه ، وتأملني لحظة في صمت ، ثم نعمم
في هدوء :

— بلا شك .

تهدت في ارتياح متعمد ، وقلت :

— شكراً يا دكتور (شريف) .. لقد حاولتني
كثيراً .

ظهر القلق في نبراته ، وهو يسألني في اهتمام :

— لماذا تسأل عن هذا ؟

أجبت في هدوء ، وأنا أتمن في ملاعنه :

— لقد قررت أن أخطبها .

ظهرت الدهشة على وجهه ، وهتف في حدة :

— تخطبها ؟

أجبت في هدوء :

— نعم .. وماذا في ذلك ؟

تردد لحظة ، ثم عاد يقول :

— أليس هذا سابقاً لأوانه ؟

ذكرتني عبارته بكلمات والدي ، فقلت في عصبية :
لماذا ؟

عاد يتردد ثانية ، ثم قال في اندفاع ، وكأنه عر
على الجواب المناسب :

— لم يكتمل شفاؤها بعد ، ثم إنك مقبل على
امتحانات الجزء الأول من الماجستير و....

قاطعته لأحسم الأمر :

— لقد فاتحت والديها ، ووافقت .

تراجع في مقعده ، وهو يغمغم في شحوب :

— وافقت ..؟

قلت في شماتة :

— نعم .. وافقت ، وسأفاتيح (فاتن) في الأمر الليلة .
شعرت من ملامحه بذلك الصراع « الذي ينشب في
أحماقه ، ولا ريب أنه بذل جهداً خارقاً ليصافحني وهو
ينهم ، قائلاً :

— تقبل تهتاني .

قلت في برود :

— أشكرك .

كانت هذه آخر كلمة تبادلتها مع (شريف) «
وأسرعت بعدها إلى منزل (فاتن) « في محاولة لطرق
الحديد وهو ساخن ، بعد أن نجح الجزء الأول من
خطتي ..

استقبلتني (فاتن) — كمادتها — بابتسامتها الرقيقة
العريضة ، ولم أكد أغلق الباب خلفي ، حتى فاجأتها
بقولي :

— هل تقبلين الزواج مني يا (فاتن) ؟

***** ٧٤ *****

تخضّب وجهها بحمرة خفيفة ، وحدّقت في وجهي
في حيرة ، ثم أشاحت بوجهها ، وابتعدت بخطواتها
البطيئة إلى حجرة نومها ، وتركني أحلق فيها بدهشة ..
مضت لحظات ، وأنا أقف كالمدھول ، حتى
أقدمت والدتها هاشة باضة « واستقبلتني في سعادة ،
وهي تقول :

— دكتور (فوزي) .. ستتناول العشاء معنا ،
فقد كنت أعده توتاً .

حاولت أن أنطق ، ولكن لساني تسر في حلقى «
وأشرت بيدي إلى حجرة (فاتن) ، ففقدت والدتها
حاجبها ، وسألتني في قلق :

— ماذا حدث ؟

غمغمت وأنا أنظر إلى حجرة (فاتن) في ذهول :

— لقد تركتني ، وانصرفت .

حدّقت الأم في حجرة ابنتها بدهشة « ثم أسرعت
إليها ، دون أن تدعوني للمجلس ..

***** ٧٥ *****

شعرت بمزيج من الحق والألم ، ويجرح غائر في
كرامتي ، حتى أنني فكرت في مغادرة المنزل دون
استئذان ، لولا أن ظهرت أم (فاتن) على عتبة
حجرة ابنتها ، وهي تبسم ابتسامة عريضة ، وتقول
في حنان :

— لماذا لم تطلب هذا مني يا ولدي

نمغمت وأنا في حيرة من أمرها :

— أطلب ماذا ؟

قادتني من يدي كالطفل الصغير إلى الأريكة ،
وقالت في عطف :

— جرت العادة أن تطلب العروس من ولي أمرها .

ازددت لعاي في صعوبة ، وقلت :

— هل تقبلين زواجي من (فاتن) إذن ؟

انحنت تقبل وجنتي ، تماماً كما تفعل أي وقالت

في سعادة :

— لن أجد لها من هو أفضل منك يا ولدي .

***** ٧٦ *****

صالتها وقد بدأت السعادة تتسلل إلى قلبي :

— وماذا عنها

ضحكت وهي تقول :

— إنها موافقة ، فلا يمكنها الرفض .

سألت في لفة :

— ماذا تعنين بكلمة لا يمكنها الرفض ؟

ابتسمت وهي تقول :

— إنها ليست مجنونة لترفض شاباً رائعاً مثلك .

قلت في تشكك :

— لماذا لم تخبرني بموافقتها إذن ؟

اتسعت ابتسامة أم (فاتن) ، وهي تقول :

— إنه خجل العذارى يا ولدي .

ثم أردفت في جدية :

— متى سيأتي والدك لطلبها مني رسمياً ؟

أوقعتني عبارتها في حيرة .

لأني أعلم موقف والدي من هذا الزواج ، وسيكون

من العسير إقناعه بالحضور ..

***** ٧٧ *****

بحث عن مفر من هذه النقطة ، ولكن عقل لم يجد
جواباً ، فقلت في قلبي :

— سيحضر بإذن الله يا والدتي .

لم ألتق بـ (فاتن) مرة أخرى ، حتى مغادرتي المنزل ..
تعلمت أمها بأن ذلك يعود إلى نجعلها ، ولكنني
كنت أعلم أنه يعود إلى وقع المفاجأة عليها ..
كنت على يقين من أنها تحب (شريف) ، ولكنني
كنت أرى أنني أجدر بها منه ..

أنا الذي أعدت لإيها الأمل ، والرغبة في الحياة ..
كنت واثقاً من أن معاشرتها لي ، ستجعلها تنسى
وسامة (شريف) ، وتحبني أنا ..

ولكن بقيت أمامي عقبة إحضار والدي ..

كان عليّ إقناعه بالتقدم لخطبتها مهما كان الثمن ..
كان هذا جزءاً من المعركة ..

وسافرت في اليوم التالي ، لمقابلته في بلدي ،
ولم أكد أكرر مطلبي حتى صمت ، وظلّ يتأمل

ملاحي طويلاً ، وهو يشبك أصابع كفيه أمام وجهه ،
ثم سألتني في هدوء كعادته :

— هل شفت الفتاة ؟

أجبت في عصبية :

— إنها تسير اليوم على قدميها .

مطّ شفتيه في ضيق لعصبيتي ، وعاد إلى صمته
بعض الوقت ، ثم مال نحوي ، وقال :

— اسمع يا (فوزي) .. أقصى ما يتمناه الأب
— أي أب — في حياته ، هو سعادة أبنائه ، وإن كنت
أعرض على زواجك ، فما هذا إلا لتوجسي من نتائجي ،
أما إذا كنت مصراً عليه ، وكانت الفتاة التي تريدها
توافقك ، فليس لديّ مانع قط .

شعرت بجسدي يرتجف ، وأنا أسأله :

— وماذا يعني هذا ؟

تهدد ، وأجابني في هدوء :

— يعني أنني سأصحبك إلى منزلها ، وسأخطبها لك .

٨ - لقاء القلوب ..

التقى والدى بوالدة (فاتن) ..
كان لقاء رائعاً ، لم أحلم بحدوثه على هذا النحو ..
كان والدى طوال الوقت بشوشاً ، باسم الشجر ،
وكان يتحدث مع والدة (فاتن) ، في مواضع شتى ،
دون أن يتطرق إلى أمر الخطبة ، وكنت أنا أنطلع حولي
في قلق ، بحثاً عن (فاتن) ، ولست أنكر أنني كنت
عصياً ، أنتظر بفروغ الصبر انتقال الحديث إلى طلب
الخطبة ..

وبينما كنا نتحدث ، ظهرت (فاتن) على عتبة
غرفتها ..

كانت كالبلر المنير في هذه الليلة ..
كانت ترتدى ثوباً ملائكياً أبيض اللون ، مطرزاً
بخيوط فضية ، تألفت مع بريق عينيها الساحرتين ،
ووجهها الرقيق الصبوح ، وكانت تعقص شعرها الأسود
الطويل خلف رأسها ، دون أن تضيف إلى ملامحها
واحدة من المكياج ، وعلى الرغم من ذلك كانت

فغرت في في دهشة ..

لم أكن أتوقع ذلك النجاح المباشر ..

كنت قد حضرت إلى والدى « وأنا أجهز نفسي
لمشادة كلامية طويلة ، ولكنني فوجئت بنفسى أفوز
في هذه الخطوة دون عناء ..

ومن العجيب أن شعور الظفر لم يراودني قط ،
وعلى العكس .. كنت أشعر أن المعركة الحقيقية لم تبدأ
بعد ..

معركة الفوز بحب (فاتن) .



شفتها في لون الورد، وخلودها متوردة حانية، وحول
عنقها التفّ عقد من الماس الصناعي، منحه جمال
عنقها بريقاً أخاذاً ..

توقف والدي عن الحديث مع أم (فاتن) دفعة
واحدة، وتعلقت عيناه بـ (فاتن)، ثم اكتسبت ملامحه
مسحة من الحنان والإعجاب، وهو يغمغم :
— ما شاء الله .

ثم نهض من مقعده، وأسرع إليها يعاونها على السير .
ولكنها غمغت في خجل :

— يمكنني أن أسير وحدي يا عمّاه .

تراجع والدي، ووقف يتأملها في إعجاب، وهي
تخطو بخطواتها البطيئة، وإن ازداد تعثرها من شدة
ارتباكها، وانتظر والدي حتى استقرت (فاتن) جالسة
على المقعد المجاور لي . ثم قال لوالدتها في حماس :
— أعتقد أنه ينبغي أن نتحدث الآن في موضوعنا،

ألا وهو خطبة الآنسة (فاتن) لابني (فوزي) .
لم يستغرق الحديث سوى لحظات، انطلقت بعدها

وغرودة فرحة، من بين شفتي والدته (فاتن)، وامتلاً
وجه أبي بابئسامة عريضة، وانحنى على وجنة (فاتن)،
وقبلها في حنان وهو يقول :

— مبارك يا بني .. ستزدان بك عائلتنا .

ثم صافحني وهو يتسم، قائلاً :

— لقد أحسنت الاختيار يا ولدي .

التقطت أنا كفت (فاتن)، وضغطتها في راحتي
برفق، ولحمت احمرار وجنتها في دهشة حقيقية ..
أهي سعيدة حقاً ؟ ..

هل يسعدنا أن أتزوجها أنا، أم أن احمرار وجنتها
يرجع إلى تذكراها (شريف)، في هذه اللحظة من
حياتها ؟ ..

عذبني مجرد التفكير في ذلك، وشعرت في داخلي
بكراهية شديدة لـ (شريف) ..

كاد ذلك التفكير ينزع مني حلاوة اللحظة، فجاهدت
لألقيه جانباً، وأصغيت بكل حواسي إلى أبي، وهو
يتخاطب أم (فاتن)، قائلاً :

— ستم الخطبة بعد نجاح (فوزى) فى الجزء الأول
من الماجستير ، وسيتم الزفاف — بإذن الله — بعد حصوله
على التخصص ، أما الآن فسكنى بدبلتين و ...
لم أستمع إلى باقى الحوار ..

قفز ذهنى دون وعى منى إلى (شريف) مرة ثانية ..
هل كنت على صواب ، حينما اتزعت (فاتن)
منه بهذه الوسيلة ؟ ..

أيمكن أن أحصل على حبها حقاً ، أم أن قلبها
سيظل دوماً له ؟ ..

يا إلهى !! كيف أشعر بكل هذا القسر من
الغيرة ، فى اللحظة التى انتصرت فيها ؟ ..

لماذا تصوّرت الأمر كله معركة ، تحتاج إلى
قتال عنيف ؟ ..

كيف تملك الشيطان مشاعرى ، وتحكم فى تصرفاتى
إلى هذا الحد ؟ ..

اختلفت النظر إلى وجه (فاتن) ، وأنا أتساءل :
هل يمكنها أن تنسى حبها لـ (شريف) ؟ ..

يقول علماء النفس : إن الفراق يقوّى الحب ، ويزكى
نيراته ، فهل هذا صحيح ؟ ..

انتهيت من أفكاري على صوت والدى ، وهو يقول :
— هيا يا (فوزى) .. ضمع دبلتك فى إصبع خطيبتك .
تركت لى (فاتن) كفها فى استسلام ، وأنا أدمس
دبلتى فى بنصرها ، ثم فعلت هى المثل معى ، وجلجلت
زغردة أخرى من أم (فاتن) ، وأسرعت لمخض
أكواب الشراب ، ولم يكد والدى ينهى كوبه ، حتى
استأذن فى الانصراف ، وبينما كنت أوصله إلى الباب
همست فى امتنان :

— شكراً يا والدى .

ربت على وجنتى فى حنان ، وقال :

— سعادتك هى كل ما يعينى يا ولدى ، ثم إن
خطيبتك رائعة .

همست وأنا أخفض عيني خجلاً ، أمام سماحته :
— كنت أتصور أنك ..

قاطعتنى وهو يقول مبتسماً :

— الأب لا يغضب على أبنائه أبداً ، ألم تلاحظ أنني ظلت أَدفع إيجار شقتك ، طوال فترة غضبك ؟
لم أكن قد تنبّهت إلى هذه النقطة في الواقع ، ولكن ذكر والدي لها دفع في أعماق مشاعر جيّاشة ، جعلت الدموع تترقرق في عيني ، وأنا أنظر إليه بامتنان بالغ ..
كيف يبلغ الأبناء حداً يجعلهم يتصورون أن آباءهم يقفون منهم موقف العداء ؟ ..
لقد عرفت في هذه اللحظة أن الأبوة عاطفة جارفة ، تنضال إلى جوارها كل العواطف الأخرى ..
كم تمنيت لحظتها أن يكون لي أبناء ، حتى أمنحهم تلك العاطفة الدافقة ؟ ..
حتى ولو لم يشعروا بها ..
هذه هي إنسانية البشر ، وجمال العواطف الخالصة ، التي لا تسعى إلى أهداف محددة ..
انصرف والدي ، وعدت أنا إلى حبيتي (فاتن) ، ولم أكد أعبّر ردهة منزلها حتى توقفت ، وعقدت حاجبي في ضيق ..

كانت تتحدث هاتفياً إلى شخص ما ، ولست أدري لم كنت واثقاً من أنه (شريف) ؟ ..
اقتربت منها بخطوات سريعة ، وسألتها في حدة :
— مع من تتحدثين ؟
قالت في بساطة :
— إنه (شريف) ، وهو يهتّننا بالخطبة .
قلت في عصبية :
— يهتّننا ؟ وكيف عرف ؟ .. لقد تم ذلك منذ دقائق فقط .
تطلعت إلى في حيرة ، وقالت :
— كنت قد أخبرته في الصباح و ...
اختلطت منها السعادة ، وقلت في توتر :
— كيف حالك يا (شريف) ؟
خجل إلى أن تدخل المفاجئ قد أريكه ، فقد صمت لحظة ، ثم قال :
— أردت أن أهتّنك بالخطبة و ...
قاطعت في برود :

— شكرًا لك .

ساد الصمت لحظة ، ثم قال :

— أردت أن أكون أول من يفعل .

قلت في برود :

— هذا ظريف .

صمت لحظة أخرى ، ثم قال :

— سلامي لـ (فاتن) .. أراكما في الصباح .

أغلقت الخط دون أن أبادل معه كلمة زائدة ، ثم

التفت إلى (فاتن) ، وسألتها في عصبية :

— أكان من الضروري أن تسرعى لإخباره .

ارتجفت شفتاها وهي تقول في حيرة :

— ولكنه هو الذى اتصل يا (فوزى) .

صمت في غضب :

— لا تكذبى .. لاني لم أسمع رنين الهاتف .

أحنت رأسها في ألم ، وقالت :

— ربما لم تنتبه إليه .. كنت تتحدث إلى والدك .

***** ٨٨ *****

هرعت والدتها من المطبخ على صوتى المرتفع ،
وسألتني في دهشة :

— ماذا حدث ؟

قلت في صوت كالصراخ :

— إنها تقول إن (شريف) هو الذى اتصل بها ..

ظهرت الحيرة في عيني الأم ، ونمغمت :

— هذا ما حدث بالفعل يا ولدى ، ولقد أجبتة أنا ،

ونقلت إليها الهاتف ، وأنت تتحدث مع والدك .

ثم أردفت في قلق :

— هل يصنع هذا فارقاً ؟

شعرت ببرودة كالثلج تسرى في أطرافى ، وبخجل

شديد يعترينى ، فنقلت بصرى إلى (فاتن) ، التى

خفضت عينيها لتتارى دموعها ، فغمغمت في اعتذار :

— معذرة .. لم يكن الأمر يستحق كل هذا ،

ولكن يبدو أن أعصابى متوترة أو ..

لم أتم عبارتى ، ولم يطالبنى أحد بإتمامها ، ولكن

والدة (فاتن) ظلت تنظر إلى وجهى لحظات ، وظلت

***** ٨٩ *****

كان مظهرى فى الصباح التالى يشفّ عن أرقى الطويل ..

كانت أجفانى متورّمة، وعيناي محمرتين، ووجهى شاحب من أثر السهاد ..

لقد قضيت ليلتى كلها أفكر فى مكالمة (شريف) ..
كنت أتساءل : لماذا أخبرته (فاتن) بأمر خطبتنا المتوقعة ؟ ..

صوّرت لى عقلى المريض بالغيرة حواراً طويلاً بينهما فى قسم العلاج الطبيعى ، فى الصباح السابق لخطبتنا ..
تصوّرتهما يتبادلان نظرات حيرى ، حزينه ، وتصوّرتة يسألها فى ألم :

ب - هل صحيح أنك وافقت على الارتباط بـ (فوزى) ؟
تخيلتها تنفض عينيها فى حزن ، وتقول فى أسى :
- كيف يمكننى أن أرفض ؟ .. هل نسيت أنه صاحب الفضل فيما وصلت إليه من شفاء ؟
لا ريب أنه هتف فى مرارة :

(فاتن) مطرقة برأسها ، حتى قالت أمها فى هدوء :

- خير ما حدث يا ولدى ..
شعرت بمدى التوتر الذى أضفيته عليهما ، فقلت فى عصبية :
- سأنصرف الآن ، فأماى الكثير من العمل ، قبل أن آوى إلى فراشى .
لم تعترض إحداهما على انصرافى ، ولكنى كنت أشعر بالحلق ..
الحلق على نفسى ، فقد أفسدت ليلة لقاء القلوب .



— وأنا يا (فاتن) ١٢.. ألم أكن صاحب الفضل
في خطواتك الأولى ؟

— هو الذي بعث في نفسي الأمل .

— وأنا الذي بعث في قلبك الحب .

— أنت وسيم ، يمكنك أن تجد من هي أفضل مني ،

أما هو ..

— ولكنني أحبك .

— هو أيضاً يحبني .

— وأنت هل تحبينه ؟

— أنا أحبك أنت يا (شريف) ، وأنت تعلم ذلك .

— أنا واثق من أنه يعلم ذلك أيضاً .

— لم يعد هذا بهم ، سأصبح ملكاً له في المساء .

غصّ حلقى بالحنق ، فتوقفت تلك الأفكار التي

صنعت كل هذا الحديث الوهمي في عقلي ، وارتدبت

ملاهي في عجل ، ثم صعدت إلى منزل (فاتن) ..

كانت تنتظرني وهي ترتدي ثيابها ، استعداداً

لذهابنا إلى المستشفى ، ولست أدري لم أحقني جمال
ثوبها ، فقلت في عناد :

— لن نذهب إلى المستشفى ، إن كنت تتوقعين ذلك .

حذقت (فاتن) في وجهي بدهشة ، ونمغمت في حيرة :

— لماذا ؟

قلت في صرامة :

— لأنني أرى أن هذا هو الأفضل .

ظلت عينها تنجوسان بوجهي في حيرة ، ثم سألتني :

— (فوزي) .. لماذا تفعل ذلك ؟

قلت في حدة :

— أفعل ماذا ؟

بدأ صوتها يكتسب بعض الحدة ، وهي تسألني :

— لماذا تحاول منعي من الشفاء ؟

أدهشتني عبارتها دهشة بالغة ، حتى أن فكى السفلى

تدلت على نحو يوحى بالبلاهة ، ثم لم ألبث أن هتفت

في حلق :

— من وضع هذه الفكرة في رأسك ؟

قالت في غضب :

— أسلوبك .. إنك ترفض فكرة مواصلة العلاج ،

وتصرّ على بقاء حالتى على ما هى عليه .

أردت أن انفجر فى وجهها ، قائلاً : إن وجود

(شريف) هو السبب ، ولكنى لم أشأ إعلان غيرتى

على هذا النحو ، فتألمت أعصابى وأنا أقول :

— لم أقصد قط أن تتوقى عن العلاج يا (فائق) ،

ولأنما قصدت أن نذهب إلى مكان آخر ، حتى لا يصيبك

الملل .

أسرعت تقول :

— لن يصيبنى الملل هناك قط .

تصاعدت دماء الغضب إلى رأسى ، وقد خبّلت إلى

أننى قد فهمت مغزى عبارتها ، ولكنها أردفت بالسرعة

نفسها :

— ما دمت أشعر بالتقدم .

أسقط فى يدى ، ولم أستطع أن أجده جواباً شافياً ،

لإقناعها بالتخلّى عن المكان الذى يوجد فيه شريف ،

***** ٦٦ *****

ولم يكن أمامى إلا اصطحابها إلى المستشفى ، وهناك

تركناها فى قسم العلاج الطبيعى ، وذهبت إلى عملى ..

ظلت فكرة وجودها مع (شريف) تؤرقنى طوال

الوقت ، ولكنى قاومت رغبتى فى الذهاب إلى هناك ،

حتى لا يفضحنى أسلوبى ، ولم يكذب بحين موعده

الانصراف ، حتى أسرعت إلى هناك ، ودفعت الباب

دون استئذان ..

كانت تجلس هناك وحدها ، إلى جوار إحدى

ممرضات القسم ، ولقد ابتسمت فى وجهى ، وهى

تقول :

— مرحباً يا (فوزى) .. تصور أننى قت اليوم

بحركة معقّدة جديدة .

سألها وأنا أنفقت حولى :

— هل انصرف (شريف) مبكراً اليوم ؟

أجابتنى الممرضة :

— لم يحضر الدكتور (شريف) اليوم .. لقد تقدم

بطلب إجازة عارضة .

***** ٦٥ *****

سألت الممرضة في اهتمام :

— لماذا ؟

هزت كتفها ، وأجابت :

— لا أحد يدري .

ولكنني أنا كنت أدري ..

لقد عجز عن مواجهة (فاتن) ، بعد أن أصبحت

ملكاً لغيره ..

لم يحتمل رؤية دبلتي تزين إصبعها ..

لقد فرّ من مواجهتها « ومن مواجهتي ..

تملكني شعور قوي بالظفر إزاء موقفه هذا ،

وانضخت أوداجي فخراً بانتصاري ، وملأني الفوز

زهواً وخيلاء ، مما جعلني أبعد شديد الرقة والحنان

مع (فاتن) ، التي انفرجت أساريرها ، وظلت طوال

الطريق إلى المنزل تشرح لي الخطوة الجديدة ، التي

أقدمت عليها ..

كنت أستمع إليها بأذني « ولكن عقلي كان بعيداً ..

كنت أفكر في (شريف) ..

لقد فرّ اليوم من لقاءها ، ولكن ماذا سيفعل غداً ،
أو بعد غد ؟ ..

هل سيفطر لمواجهتها ، وستفطر هي لمواجهته ؟ ..

ماذا سيفعلان عند اللقاء ؟ ..

هل سيفجّر اللقاء حبهما من جديد ؟ ..

هل سيخفق قلباهما مرة أخرى ؟ ..

شعرت في هذه اللحظة أن ابتعاد (شريف) يؤكد

شهامته ..

لولا ذلك لظلّ إلى جوارها « مستمتعاً بقربه منها ..

ولكن هل سيتعد طوال الوقت ؟ ..

راودتني فكرة أنه لو كان شهياً حقاً ، لطلب نقله

إلى قسم آخر ..

ومن العجيب أن هذا ما فعله بالضبط ..

في الصباح التالي أخبرتنا الممرضة أنه نقل إلى قسم

العظام ، حيث يوجد قسم صغير لتأهيل شفاء كسور

العظام ، ويقدر ما أسعدني موقفه ، أحققني موقف

(فاتن) ..

لقد شحب وجهها وهي تسمع الخبر ، وتعثرت
الكلمات في حلقها لحظات ، قبل أن تهتف في جزع :
- ولماذا ينقلونه ؟.. إنه أفضل طبيب هنا .
مطّست الممرضة شفيتها ، وقالت :
- إنهم لم يفعلوا .. هو الذى طلب نقله إلى هناك ،
ولقد استجابوا لطلبه على الفور ، لأنه طبيب ممتاز .

عادت (فاتن) تهتف في حزن :

- إنه طبيب رائع ، سيفقده كثيراً .

قلت في حنق :

- أنا لن أفقده .

التفتت إلى (فاتن) والمرضة في دهشة ، فتهاكت

نفسى ، وابتسمت وأنا أردف في هدوء مصطنع :

- أعنى أنتى أستطيع زيارته في قسم العظام ، في

أى وقت .

تألفت عينا (فاتن) ، وهي تستمع إلى كلماتى ،

ثم هتفت في جذل :

- فكرة رائعة .. هيا نفاجته الآن بزيارة .

***** ١٨ *****

صحت في غضب :

- كلاً .

سألتنى في دهشة :

- ولماذا ؟

عدت أتمالك أعصابى ، وأقول :

- ستؤجل ذلك إلى ما بعد انتهاء جلسة العلاج

الطبيعى .

ولكننى لم أفعل ما وعدتها به ..

أى أحمق هذا الذى يذهب بحبيبته إلى آخر يحبها ؟..

أى مجنون هذا الذى يمنح منافسه فرصة للفوز ؟..

لم أصطحبها لزيارته ، ولم تكرر هى مطلبها ، بل

ظلت صامتة طوال طريق العودة ، وفي منزلها جلس

كل منا صامتاً ، وشعرت والدتها بتوترنا ، فقالت :

- هل من جديد في علاجك يا (فاتن) ؟

أجابتها (فاتن) في اقنصاب :

- إتنى أتقدم كل يوم يا أماء .

التفتت والدتها إلى « وسألتنى »

***** ١٩ *****

— ما رأيك يا (فوزى) ؟

أجبتها في اقتضاب مماثل :

— هو ما نقول (فاتن) .

شعرت والدتها بتوتر الأمور بيتنا ، فلاذت بالصمت
هى الأخرى ، مما دفعنى إلى الاستئذان ، ومغادرة المنزل
إلى منزلى ..

لم أعد أنعم أبداً بالسعادة ..

كنت أعيش في عذاب دائم ..

دائماً أفكر في علاقة (فاتن) بـ (شريف) ،
ودائماً أنسج بينهما مواقف عاطفية كثيرة في خيالى ..
كل يوم كنت أصحبها إلى المستشفى ، وأعود بها
إلى المنزل ، دون أن تتبادل كلمة واحدة ..

و ذات يوم ، ونحن نعود ، فوجئت بها تقول :

— (فوزى) .. سأسألك سوآلا ، وأرجو أن نجيبنى

عنه في صراحة .

قلت في هدوء :

***** ١٠٠ *****

— سلى ما بدا لك .

صمتت لحظة ، ثم قالت :

— أنت تادم على ارتباطك بى ؟

هتفت في دهشة :

— أنا ؟

سألتنى في ضيق :

— لماذا تعاملنى بكل هذا الجفاء إذن ؟

بحثت عن جواب لسؤالها ، ولكننى لم أجده أمامى
سوى جواب واحد .. (شريف) .. ولم أكن أجرو
على مصارحتها به ، فقلت بالصمت ، وعادت هى
تقول :

— حتى أى لاحظت جفاءك فى معاملتى ، وسألتنى

عن سببه ، ولكننى لم أجده أمامى سوى أنك تادم على
الارتباط بفتاة ...

أطرقت برأسها ، وهى تردف فى حزن :

— بفتاة نصف عاجزة .

***** ١٠١ *****

فجسرت عبارتها مشاعري كلها ، وأزالت من قلبي
كل أثر للغضب والغيرة ..

قبضت على كفها ، وهتفت في حرارة :
— كيف تقولين هذا ؟.. ألا تتركين أنني أحبك
يا (فاتن) ؟

رفعت إلى عينيها الدامعتين ، وهتفت في لطفة :
— أحفًا ما تقول ..

رُبِيت على كفها وأنا أنعم في حنان :
— ألم تتركى هذا منذ البداية يا حبيبتى ؟
ترقرقت الدموع من عينيها ، وهى تقول :
— أنا أيضاً أحبك يا (فوزى) ، ويؤلمنى أن
تعذبى على هذا النحو .

هتفت فى ألم :
— أعدبك ١٩ .. هذا آخر ما أتمناه يا حبيبتى
الرفيقة — إتنى أحيا من أجل سعادتك فحسب .
تألق في عينيها بريق عاطفى أخاذ ، وضغطت راحتي
بكفها الأخرى ، وهى تقول :

***** ١٠٢ *****

— فلتعاهد على ألا يؤذى أحداً الآخر ، أو يعذبه
ما بنى لنا من عمر .

هتفت فى حماس :
— أعيدك يا حبيبتى .. أعيدك .
ثم أردفت فى عمق :
— لا عذاب بعد اليوم .

• • •



***** ١٠٣ *****

بررت بوعدي هذه المرة لـ (فاتن) .. خاصة وأن
(شريف) قد اختفى من حياتنا تماماً ، فلم يعد يظهر
أبدأ في قسم العلاج الطبيعي ، ولم تعد (فاتن) تشير
إليه في أحاديثها قط ..

انتهى عذابنا حقاً ..

أصبحت لحظائنا كلها سعادة ..

تقدمت (فاتن) تقدماً رائعاً في العلاج ، حتى
أصبحت تسير كالإنسان معافى ، وإن بدت تحركاتها
بطيئة ، وكأنها تتمشى الموبنى ، وأصبحت أنا أستاذ
دروسي في جدٍ وعمقٍ ، حتى نجحت في امتحان الجزء
الأول من الماجستير ، وأصبحت كما قال أحد زملائي
مداعباً (نصف إحصائي) ..

وأقنا حفل الخطبة ..

كان حفلاً رائعاً .. تعرفت فيه عائلتي (فاتن)

***** ١٠٤ *****

لأول مرة .. ولقد حازت إعجابهم جميعاً بجملها ورقتها
ولياقتها ..

ومن الطريف أنها لم تدع (شريف) لحفل الخطبة ،
ولم أفعل أنا أيضاً بالطبع ..

وسارت حياتنا بعد ذلك على وتيرة واحدة ..

أنا أنهكت في دروسي ، استعداداً لامتحان الجزء
الثاني والأخير ، وهي تواصل جلسات العلاج ، بعد
أن أصرت على الذهاب والعودة وحدها ، دون معاونة ،
وفي فترات فراغنا كنا نلتقي ، ونمضي الوقت في مرح
وسعادة ، وأمها تدعو لنا بمزيد من الفرح ، دون أن
يعكر صفو حياتنا شيء ..
ومرَّ عام كامل ..

ليس من العجيب أن أنحط عاماً كاملاً بعبارة
واحدة ، فقد بدا لنا وكأنه لم يستغرق إلا الوقت اللازم
لكتابة العبارة ذاتها ..

كنا نسبح في بحر من السعادة ، وزفل في ثوب
الهناعة ، حتى لم يعد للوقت أية قيمة لنا ..

***** ١٠٥ *****

ولم تعد (فاتن) تحتاج إلى مواصلة العلاج الطبيعى ..

أصبحت تسير كأية فتاة عادية ، بل وتعدو عدواً خفيفاً في بعض الأحيان ..

كانت آخر جلساتها في قسم العلاج الطبيعى ، يوم ظهور نتيجة الماجستير .

كدت أرقص فرحاً حينما عرفت أننى أول دفعى من طلاب الدراسات العليا ..

أصبحت إخصائياً في علاج أمراض المخ والأعصاب ، ونلت درجة مدرس مساعد بالقسم نفسه ..

كنت أطيّر فرحاً ، وأنا أهرع إليها ، لأزف لها البشرى ، في آخر أيامها في العلاج ، وكدت أقسم القسم كعادتى ، لولا أن وصل إلى مسامى حوار ، انتزع منى كل فرحى بالنجاح ، وتسمّرت له قبضتى فوق مقبض الباب ..

سمعت صوت (شريف) يقول :

***** ١٠٦ *****

— لقد أردت الاطمئنان عليك دوماً ، لولا أن نحشيت من غضب (فوزى) .

سمعت (فاتن) تجيبه قائلة :

— هذا مامنعنى أيضاً من زيارتك .. إنه يغار كثيراً .
نعم هو :

— أعلم ذلك .

ثم أردف :

— ولكننى لم أستطع مقاومة رغبى فى تهنتك بانهاء العلاج ، حينما علمت ذلك .

أجابته فى مرح :

— شكراً لك .

لم أطق احتمال المزيد ، فدفعته الباب ، ووقفت أحدهنّ فيهما فى برود ، ولاحظت ارتباك (فاتن) ، واحمرار وجهها ، وتلعثم (شريف) وهو يقول :

— مرحباً يا (فوزى) .. لئننى لم أرك منذ عام كامل .. لقد أتيت أهنتك بالنجاح فى

***** ١٠٧ *****

كان لا بد لي من اتخاذ خطوة عملية ، تقطع علاقته
بها نهائياً ..

طال صمقي وهي تنتظر جوابي ، ثم قلت في هدوء :
— ما رأيك أن تتزوج الحميس القادم يا (فاتن) ؟
تطلعت إلى في دهشة ، ثم خفضت عينيها ، وقالت :
— كما تشاء .

قلت في صرامة :

— سأفاتيح والدتك في الأمر .

ولم تعترض والدتها كثيراً ..

وافقت على الزفاف ، ما دمتنا سنقيم إلى جوارها ،
في نفس الشقة المفروشة ، التي ما زال والدي يدفع إيجارها ..
لم أشر مطلقاً إلى رؤيتي لها مع (شريف) ، طوال
فترة استعدادنا للزفاف ، ولم تفعل هي أيضاً ..

وفي الخميس الأول من شهر مايو ، تم زفافنا في
حفل كبير ، دعونا إليه أبناء الحي كله ، وبدأت فيه
(فاتن) كلاك برفر ف ببحاحيه ، في ثوب الزفاف ..

لم أستمع إلى باقي عبارته الزائفة ..
إنه لم يدرك أنني قد سمعتهما ، وأنني قد كشفت
خداعهما لي ..

لم أعد أحتمل رؤيته ، ولم أرد بعبارة واحدة ،
فاتجه هو إلى ، ومد يده لمصافحتي وهو يقول :
— تقبل تهنئاتي .

قلت في برود :

— شكراً .

ثم استلذت مغادراً القسم ، دون أن أعني باصطحاب
(فاتن) ، وعدت إلى منزلي محمقاً ..
لحقت هي بي بعد نصف ساعة ، وقالت في غضب :
— لماذا عاملت الدكتور (شريف) بكل هذا
البرود ؟.. لقد أتى ليهنئك .

حدثت في وجهها ، دون أن أحاول إجابة سؤالها .
كنت أبحث في الواقع عن حل جذري لعلاقتها
بـ (شريف) ..

تألتى جمالها ، وتألفت رقتها كلها في ذلك الحفل ..
كانت فتنة للناظرين ، وعصفوراً أنيقاً وسط سماء
السعادة ..

وكنت أنا أسبح في عينيها ..
لم أهتم كثيراً بتفاصيل الحفل ، فقد كنت أفكر
في أننا أخيراً أصبحنا زوجين ..
وأخيراً أصبحنا وحدنا في منزلى ..
أصبحت (فاتن) ملكى إلى الأبد ..
لو أننا بطل قصة سينمائية ، لانتهت قصتنا عند ليلة
زفافنا ، ولكننا كنا للأسف بشراً ، من لحم ودم ..
لم أكد أخلع عن رأسها طرحة الزفاف البيضاء ،
وأسبح وحدى في بحر عينيها ، حتى بادرتنى قائلة :
- (فوزى) .. ما رأيك أن تؤجل إنجابنا لعامين

أو ثلاثة ؟

تلاشى فرحى بزواجنا دفعة واحدة ، وسألتها في

حقن :

*** ١١٠ ***

— لماذا ؟

تحتست وجهى في رقة ، وقالت :
— إتنى أحاول استعادة قلدى على ممارسة فن
الباليه ، وسيعوقنى الإنجاب في البداية ؛ لذا فأنا أرجوك
أن تؤجله ، حتى أستعيد بعض مهارتى .
شعرت بغضب هائل يعربد فى أعماقى ..
كنت أعلم أنها تخشى الإنجاب من رجل لا تحبه ..
كنت أعلم أن (شريف) ما زال يملأ قلبها ..
ولكننى وافقت ..
وافقت لأننى لم أشأ أن أفرض عليها مثل هذا
الأمر بالذات ..
فإنجاب الأطفال يحتاج إلى رغبة حقيقية صادقة ،
حتى يمكن للأبوين تحمل متاعب تربيتهم ورعايتهم ..
وافقتها لأننى أنا أيضاً أرفض الأطفال ، من امرأة
لم تحبنى بعد ..
ولكن — والحق يقال — كانت (فاتن) زوجة
رائعة ..

*** ١١١ ***

كانت محبة ، مخلصه ، حنوناً ..

وكنّت أنا زوجاً متعباً ..

لقد جشمتها الكثير من العناء ، طوال العامين الأول
والثاني من زواجنا ، بشكوى في استمرار علاقتها
بـ (شريف) ..

كنت أحصى خطواتها ، وأختلس السمع إلى
مكالماتها الهاتفية ، وأرافقها إلى معهد الباليه ، الذي
بدأت فيه دروسها من جديد ، كبتدئة في هذا النوع
من الفن الإيقاعي ..

وكانت هي تشعر بشكوى ، وتعذب لها ، ولكنها
لم تعترض أو تشك ..

ولم يمنحها كل هذا العذاب من أن تواصل تقدمها ،
وتحسنها في فن الباليه ..

كان لذين العامين أثر كبير في حياتنا ..

تفوّقت أنا في عملي ، وتضاعف دخلي عشرات
المرات ، حتى أمكننا الانتقال إلى شقة جديدة أنيقة ،

نظل على البحر مباشرة ، وتبعد شارعين فقط عن منزلنا
القديم ، الذي حولته أنا إلى عيادة للعناية بمرضى الأعصاب ..
وأصبحت (فاتن) ترقص الباليه ..

تحققت لها المعجزة ، برعاية الله — سبحانه وتعالى —
واستعادت عضلاتها مرونتها ، بعد أربع سنوات من
الصمود ، والمواظبة ، والإرادة ..

أصبحت (فاتن) رمزاً لانتهيار المرض ، أمام
الإرادة البشرية القوية ..

أصبحت شعار معهد الباليه ، الذي كان يفخر
بعزيمتها ، وصلابتها ..

تصوّروا .. هذا العصفور الرقيق يوصف بالقوة
والصلابة ..

كنت أشعر بفخر شديد ، وأنا أتابع تقدمها ..

كنت أشعرا أنني واضح حجر الأساس في هذه المعجزة ..

ولكن شكوى بها لم يتوقف ..

كنت أحاول التخلي عنه ، ولكنني لم أنجح أبداً ..

كلما سيطرت قليلاً على غيرتي وشكوكي ، عادت
إلى ذهني كلماتها مع (شريف) في قسم العلاج الطبيعي ،
في آخر أيام علاجها ..

كنت أنصور أنني لو أطلقتها حرية الحركة ، فستلتنى
بـ (شريف) ، أو على الأقل سيحاول هو الالتقاء بها ..
ربما كنت مبالغاً عتيفاً في حياتي معها ، ولكنني
كنت أحبها ..

يبدو أنه هناك فارق كبير بين الحب والثقة ، على
عكس ما يقول الأدباء ..

فالحب كالموت ، يصيب الإنسان فجأة ، ويتسلل
إلى قلبه دون سابق إنذار ، ودون التفرقة بين غني
أو فقير .. صغير أو كبير .. سليم أو مريض ..

أما الثقة فنحن نصنعها ، وننميها بالتعامل ..
قد يعارضني الكثيرون في رأيي هذا ..
قد يقولون إنني معتد ، أو متطرف ..
ولكنني أستطيع إثبات نظريتي هذه ..

***** ١١٤ *****

لماذا يقع بعض الناس إذن في حب راقصات ،
أو بائعات هوى ، على الرغم من استحالة الوثوق في
مثل هذا النوع من النساء ؟ ..

لماذا يهجر رجل امرأته وأولاده ، من أجل إنسانة
خانت زوجها معه ؟ ..

هناك فارق ولا شك بين الحب والثقة ..
فارق في اتساع البحر ، وفي ارتفاع السماء ..
أو هكذا رأيي على الأقل ..
وأنا أؤمن أن هذا الرأي هو سر نجاحي .. نجاحي
في حياتي الزوجية .



شارف العام الثالث من زواجنا على الانتهاء ، دون أن تتغير عاداتي في معاملة (فاتن) ، ودون أن تنجح هي في انتزاع شكوكي من صدري ..

لم أكن قد رأيت ، أو سمعت شيئاً عن (شريف) طوال هذه الأعوام الثلاثة ، ولكنه كان يعيش في أعماقي ..

في شكوكي ..

ومنذ شهر واحد ، تنبّهت إلى خلو القفص الصغير في شرفتنا ، من المصفور الأنيق ، الذي أحضرته (فاتن) معها عند زواجنا ، فسألته في دهشة :

— أين ذهب المصفور ؟ .. هل لحق بأنثاه ؟

أشاحت بوجهها عني ، وهي تقول في هدوء :

— لقد أطلقت .

حدّقت في وجهها بدهشة ، وصمت كلانا طويلاً قبل أن أسأله في حدة :

— أطلقتته ؟ .. لماذا ؟

فرّرت بعينها من عيني ، وقالت في هدوء :

— لأنني أحبه .

لم أفهم منطقها في البداية ، فسألته في حدة :

— كيف أطلقتته لأنك تحبّه ؟

استدارت تواجهني بعينين حزينتين ، وقالت :

— لقد أدركت أن الحب يدفعني لإطلاق سراحه ، حتى ولو كان هذا يؤذيني ، ما دام سيحقق له السعادة .

نجّلت إلى أن كلامها يحمل مغزى خطيراً ، فقلت في حنق :

— أيّ هراء هذا ؟

أجابتنني في هدوء :

— إنه منطقك أنت .. هل تذكر حديثنا في حجرتي ، منذ ما يقرب من خمس سنوات ؟ .. ربما كان هو يفضل الموت في حرية ، وسط الطبيعة التي خلق من أجلها ، بدلاً من العيش دهرأ في قفص من الخشب والسلك .

ساد الصمت بيننا لحظة ، ثم أردفت في هدوء :
— ولقد أدركت اليوم أن السجن بهن ، ولو كانت
قضبانه من ذهب .

قالت عبارتها هذه ، وتركتني وحدي ، وأغلقت
خلفها حجرة نومنا ..

يالها من رسالة تركتها لي ، من خلال كلماتها !!
إنها تذكرني بالقيود التي أحكتها حولها ، وتنبهني
إلى تنافي ذلك والحب ..

مزقت منطقي السابق في لحظة ..
جعلتني أؤمن أن الثقة والحب وجهان لعاطفة
واحدة ..

إنني أعترف بخطأ منطقي السابق ..
لا حب بلا ثقة ..

أدركت أن النماذج التي ذكرتها سابقاً لم تكن حياً ..
بل نوعاً من الرغبة يغلفه الشيطان بغلاف عاطفي وافر ..
يا إلهي !! .. كم كنت قاسياً معها

كم كنت وحشاً وسجناً ..

شعرت في لحظة بعذابها ، طوال السنوات الأربع
الماضية ..

وارتفع صوت ضميري بصم أذني ، ويختفي صوت
دقات قلبي المرتجف ..

قررت في لحظة أن أنزع من حولها الأسوار ..
أن أمنحها الثقة التي تصبو إليها ..

أسرعت إلى حجرة نومنا ، ووجدتها تبكي في
صمت فوق الفراش ، فأمسكت بكفها ، وقلت في
حنان :

— (فاتن) .. لقد فهمت .
رفعت عينيها اللامعتين إلى وجهي ، وهضمت في
حزن :
— حقاً .

ضممت جسدها الرقيق إلى صدرى في حنان ،
وهضمت في أذنها بحب :

— كنت مخطئاً طوال الوقت يا حبيبتى ، كان
ينبغى أن أمنحك ثقتى منذ البداية .

نعممت فى أسى :

— كنت أنتظر هذا من زواجنا .

هتفت فى حماس :

— سيحدث يا (فاتن) .. سيحدث .

لم أصحبها فى اليوم التالى إلى معهد الباليه ..

لم أحاول حتى أن أذهب لاصطحابها فى العودة ..

كان من العسير على نفسى أن أبدل أسلوب معاملتى

لها فى لحظة ، ولكننى قاومت ، ونجحت ..

كنت أريد أن أؤكد لها ثقتى اللامحدودة فيها ،

بعد أن فهمت رسالتها ..

وفى ذلك اليوم عادت إلى المنزل واضحة السعادة ،

وقفزت تعانقنى وهى تهتف فى فرح :

— أحمل إليك مفاجأة مذهلة ، لن تصدقها

يا (فوزى) .

سألتها فى حنان :

— إلى بها ، قبل أن تقتلى اللهفة .

صاحت وهى تصفق بكفها فى جذل كالأطفال :

— سيقم لى المعهد حفلاً خاصاً ، وسأقوم فيه بدور

البطولة ، فى أوبريت جديد ، أعدّه الموسيقار (محمد

عبد الوهاب) خصيصاً من أجلى .

صرخت فى فرح ، وضمتها إلى صدرى ، وأنا أهتف :

— هذا رائع يا (فاتن) .. رائع .

كان هذا انتصاراً لسنوات الصمود الخمس الماضية ..

كان تحقيقاً للوعد الذى قطعته على نفسى — منذ

خمس سنوات — بعودتها إلى الباليه ..

وكان انتصاراً لإرادتها ..

لم تسترح هى طوال هذا الشهر ..

كانت تقضى وقتاً أطول فى معهد الباليه للتدريب

على دورها ، وكانت تواصل تدريبها فى المنزل ، وأنا

أصفق لها إعجاباً ..

كانت معادتها تفوق الوصف ، وسعادتى كذلك .

كان الموعد يقترب في سرعة ، والصحف تمتلئ
بأنخبار راقصة الباليه ، التي عادت إلى قتها ، بعد صراع
سبع سنوات مع العجز والمرض ..

كانت مصر كلها تتحدث عن هذه المعجزة ..
وكانت (فاتن) أسعد مخلوق في العالم أجمع ..

كان كل شيء يسير على ما يرام ، حتى صباح
ليلة الافتتاح ..

استيقظت من نومي على رنين جرس الباب ، وقبل أن
أنهض من الفراش « قفزت هي منه ، وصاحت في جلدل :
— سأفتح أنا .

تثاءبت في كسل في فراشي ، وانتظرت عودتها ،
ثم قررت أن ألحق بها ، لنتناول طعام الإفطار معاً ..
خرجت من حجرة نومنا على أطراف أصابعي ، وأنا
أنوي مفاجئتها ، ولكن المفاجأة كانت من نصيبي أنا ..
لقد رأيتها منهمكة في قراءة برقية ، من النوع
المخصص للتهاني ، وقد نمت ملامحها عن الاهتمام الشديد ..

راودني شعور الغيرة مرة أخرى دافقاً قوياً ،
وتسلل إلى قلبي انقباض عجيب ..
من هذه البرقية ، التي استحوذت على انتباهها
إلى هذا الحد ؟ ..

أهو الشخص نفسه ، الذي سبب لنا العذاب طوال
الأعوام الخمسة الماضية ؟ ..

اقتربت منها في خفة ، حتى أصبحت على بعد
خطوة واحدة منها ، وسألتها :

— من هذه البرقية يا (فاتن) ؟

ارتجف جسدها ، وحذقت في وجهي بلعراً ، ثم
أطلقت ضحكة عصبية قصيرة ، وقالت :

— لقد أفرغتني .

عدت أسأها في صرامة :

— من هذه البرقية ؟

ترددت طويلاً ، ثم أجابت في تلثم :

— إنها مجرد برقية تهته و ..

١٢ - الانفجار ..

كان ظهور (شريف) المفاجئ في حياتنا مرة
أخرى ، أقوى مما تحمله أعصابي ، ففوجئت بنفسى
أنفجر صائحاً في غضب :
- أيتها الخائنة .

حدثت (فاتن) في وجهى بدهول « ونمغمت
في ألم :

- خائنة ١٢ .. ماذا تقول يا (شريف) ؟

صرخت في جنون :

- أتنادينى باسمه أيضاً .

ودون أن أدري ، هويت على وجهها بصفعة
قوية ، ألقت جسدها الضئيل أرضاً ، ورفعت عينيها
للأهلين اللامعتين ، تحدق في وجهى ، وأنا أتابع
صراخى ، قائلاً :

- هل تظنين أننى لم أكن أعى ما تفعلان من
خلف ظهري ؟

سالت اللعوع من عينيها « وهى تغمغم :

***** ١٢٥ *****

اختطفت البرقية من يدها ، قبل أن تم عبارتها ،
وقرأت كلماتها في غضب ... كانت تقول :
« نهتائى بالحصول على دور البطولة ، تمنياتى بنجاح
باهر الليلة » .

وفى نهايتها توقيع غلى له الدم في عروقي .. توقيع
يحمل اسم الدكتور (شريف) .

...



***** ١٢٤ *****

— من وراء ظهرك ١٩ —

صمت وأنا لا أستطيع السيطرة على أعصابي :

— لقد ظننتما أنني لم أعرف « ليجرد أنني لم أتكلم ..

ولكن لا .. لقد عرفت بعلاقتكما منذ رأيتك يضم كفك

في حنان ، في حجرة العلاج الطبيعي ، وأعلم أن سبب

عدم ردك عليّ ، عندما طلبت الزواج منك ، يرجع

إلى حبك له ، ولقد نقل نفسه من القسم بعد خطبتنا «

حتى يقاوم حبك ، ولا ريب أنه كان يتحدث إليك «

ليلة وضعت دبلتي في يدك « ليحاول إثباتك عن قبول

الخطبة ، وأعلم أنكما كنتما تلتقيان من وراء ظهري ،

حتى أنني سمعتكما يوم نجاحي ، تتحدثان عن خيانتكما ،

دون أن تدريان أنني أسمعكما ، ولقد سمعتك بنفسى

تقولين له أنك تحبينه ، وأنتك قبلت زواجي مرعومة .

اختلطت الحقائق بالخيال في عقل ، ولم أعد أدري

ماذا أقول ، وقدفقت العبارات من فمي كالقذائف ،

دون أن أعي منها حرفاً واحداً ، وهي تحدثني في وجهي

ذاهلة ، ووجهها مبلل بالدموع « حتى انتهت ..

***** ١٢٦ *****

انتهيت من مصارحتي لها بشكوكي وغيرتي ..

انتهيت من لفظ كل ما ضاق به صدري ، طوال

السنوات الخمس ..

ساد الصمت طويلاً ، وكلانا يحدق في وجه الآخر ..

ثم نهضت (فاتن) ..

نهضت في بطاء وهלוء ، واعتدلت تنفض الغبار عن

ثوبها ، وكأن شيئاً لم يكن ، ثم حددتني بنظرة عميقة

حزينة ، خيل إليّ أنها اخترقت قلبي ومزقته تمزيقاً ..

ولكنني لم أتفوه بحرف واحد ..

ظل كل منا ينظر في عيني الآخر طويلاً ، ثم

تحركت (فاتن) في هלוء إلى حجرتها ..

تابعها ببصري ، وأنا أشعر بألم عنيف ، ثم سألتها

في حدة :

— إلى أين ؟

أجابتني دون أن تلتفت :

— إلى معهد الباليه « لا بد لي من أداء بروقي

الأخيرة ، قبل حفل الليلة .

***** ١٢٧ *****

لم أعترض طريقها ، ولم تتبادل كلمة واحدة ،
حتى غادرت المنزل ، وتركتني وحدي ، أعرض نواجذ
الألم والندم ، وألوم نفسي ألف مرة على ما تفوّت به ..
مرّت ساعة كاملة ، وأنا واقف في مكاني ..
لم أتحرك خطوة واحدة ، أسأل نفسي : كيف أمكنتني
لإيلاها إلى هذا الحد ؟ ..
لأول مرة أشعر بكراهية شديدة لنفسي ، وبحق
شديد عليها ..

كنت أستحق العقاب ..
عقاب شديد ، قد ينزع من قلبي بعض الندم ،
الذي أشعر به ..
أسرعت أرتدى ملابسى ، وأنطلق إلى معهد
الباليه ، وأنا أنوى الاعتذار لها عما بدر منى ..
وصلت إلى المعهد في الساعة العاشرة تماماً ، ولم تكذ
مديرة المعهد تعلم أنني زوج نجمة حفل الليلة ، حتى
استقبلتني في احترام وتبجيل شديدين ، وطلبت من
إحدى العاملات بالمعهد إخبار زوجتي (فاتن) ، أنني

أنتظرها في حجرتها ، وجلست أنتظر حضورها في هفة ..
ولكنها لم تأت ..
عادت العاملة نحجلى ، وقالت في تلعم إن (فاتن)
لا تريد مقابلتى ..

شعرت بنحجل شديد ، أمام نظرات مديرة المعهد
الدهشة ، ولكننى لم أغضب ..
كنت أعلم أنني أستحق ذلك ، بعد كل ما أهنتها
به ، فغمضت في استسلام :
- لا عليك .. هذا ما أستحقه .

دخلت مديرة المعهد منظارها الطبي ، وتأملتني
لحظة ، ثم سألتني في حنان :
- هل تشاجرتما ؟

أومأت برأسى إيجاباً ، قابضت ابتسامة مشفقة ،
وقالت :

- لا تجعل رفضها يقلقك ، كل الأزواج
يتشاجرون ، ولكن نجمتنا اليوم محتاج إلى أعصاب
هادئة ، حتى يمكننا أداء دورها في إيقان .

عمغمت في ألم :

— هذا صحيح .

ابتسمت في عطف ، وقالت :

— اسمع لي أن أهنئك بزوجتك يادكتور (فوزى) .

إنها سيدة رائعة .. نادرآت هن من ينجحن في هزيمة

مرض خطير كمرضها .

عمغمت :

— هذا صحيح .

عادت تردف :

— لقد بهرتنا جميعاً بما وصلت إليه ، بعد أن كنا

قد تيقننا من عجزها إلى الأبد .

قلت في اقتضاب :

— نعم .. نعم .

عادت تواصل مديحها : قائلة :

— لقد قرر المعهد تعيينها معيدة فيه ، فهي ممتازة

أخلاقياً و ..

كان مديحها يعدني ، ويزيد من إحساسي بالنعم ،

***** ١٢٠ *****

والحجل ، والعار ، حتى أنني لم أعد أحتمل كلمة واحدة
زائفة ، فهتفت فجأة :

— كفى .

حدقت المديرية في وجهي بدهشة ، ولكن يبدو

أنها أدركت بسرعة ما أعانيه ، فعادت تقول في حنان

هجيب :

— متشاهد زوجتك الليلة ، أليس كذلك ؟

أومأت برأسي إيجاباً فيما يشبه الاعتذار ، فأردفت :

— بعد الحفل ، سأذهب معك إلى حجرتها ،

ومنصلح كل شيء .

هضت في لمحة :

— حقاً !!

أومأت برأسها ، وهي تبسم في حنان ذكرني

بأمي ، فأنحيت نحوها ، وقلت في حرارة :

— كيف يمكنني أن ..

قاطعتني بإشارة من يدها ، وقالت :

— بعد الحفل يادكتور (فوزى) .

***** ١٢١ *****

غادرت المعهد ، وقد أصبحت كلمة الحفل مرادفة
في ذهني لكلمة الأمل ..

أقسمت في نفسي أن أبدل طريقة معاملتي لـ (فاتن)
تماماً ، إذا ما عادت إلى بعد الحفل ..

أخذت أردّد هذا القسم ، حتى موعد الحفل ،
وانتقيت أفضل حلة لدى ، واستخدمت العطر نفسه ،
الذي أهدته هي لي في عيد زواجنا الماضي ، وقبل
ذهابي إلى الحفل انتقيت ، من محل للزهور ، زهرة
واحدة حمراء اللون ، وثبتت بها بطاقة تحمل اسمي ،
ونحنه كتبت :

« مبروك يا حبيبتي - تقبل تهنئتي واعتلاري » .

وحملت الزهرة في غلاف أنيق إلى الحفل ..

حاولت أن أقابلها في حجرتها قبل بدء العرض ،
ولكنها عاودت الرفض « ولم أشأ تكرار مطلبي ،
خشية أن أفسد استعدادها للحفل ، فعدت إلى مقعدي ،
وانتظرت بدء الأوبريت ..

وبدأ العرض ..

أطلقت أضواء المسرح ، وانزاح الستار ، وغمرت
الأضواء خشبة المسرح ، ثم ظهرت راقصات الباليه ..
كانت حركاتهن أنيقة رشيقة ، كسرب من
الفرشات يحوم حول زهرة أنيقة ، أو كجموعة من
الغصافير تغرد في سماء الحب ..

وبعد أن ارتفعت الموسيقى ، وهنأت مرة ثانية ،
ظهرت (فاتن) على المسرح ..

عبثت بين حشود الراقصات كمصفور أنيق ،
ودارت بينهن في رشاقة رائعة ، ثم بدأت تؤدي رقصتها
في مرونة ملهلة ..

شمل السكون قاعة المسرح لحظات ، ثم انفجر
فجأة بالهتاف والتصفيق .. وتصاعدت صيحات
المخرجين ، الذين أذهلهم هذا العرض الرائع ، من
فتاة كانوا يتوقعون منها عرضاً متوسطاً على أحسن
تقدير « بعد ما قرءوا عن مرضها النادر ، وكفاحها له
على صفحات الصحف ..

ولأول مرة في تاريخ فن الباليه ، توقف العرض ،

أمام سبل المتناف والتصفيق ، وانحنت الراقصات لرد
نحية الجمهور ، وتقدمت (فاتن) الصفوف ، ثم انحنت
في رشاقة ، ارتفع بعدها المتناف ، والتهبت أكف
الحاضرين بالتصفيق ..

تساقطت دموع الفرح من عيني « أمام هذا النصر
الرائع ، الذي حققته (فاتن) ، قبل حتى أن ينتهي
العرض ، والتصقت عيناى بوجهها ..

يا لهول ما رأيت !!
لم يكن وجه (فاتن) يحمل لمحة واحدة من السعادة.
كان صورة مجسمة للحزن ..
حزن بعثه أنا في نفسها ..

يا لى من مجرم زنى !!
جرحت أجمل عصفور في الوجود ..
أفسدت فرحة انتظرها عمره كله ..
بكيت هذه المرة بدموع القهر والألم ..
بكيت دون أن يلتفت أحد الحاضرين إلى دموعى ..

***** ١٢٤ *****

كانت أنظارهم كلها تتجه إلى (فاتن) ، التي
عادت نواصل عرضها الرائع ..
كانت تؤدي دورها في مهارة ، واقتدار ، كأعظم
راقصة باليه في العالم .

أنا وحدى كنت أعلم أنها حزينة ..
أنا وحدى كنت أعلم أن رقصها هذا ليس طرباً ،
ولما نشج طير ذبيح ..

كنت وحدى أعلم أنها تتمزق ..
تتمزق بعد أن حققت أملها ..
بعد أن حطمت المستحيل ..
ولكننى قررت أن أحقق على الأقل وعدى لها ..
أن أكون أول من يصفق لها ، عندما تنتهى من
رقصتها الأولى ..
واقتربت النهاية ..

كنت أعلم كيف سينتهى الأوبريت ، من مراقبتى
للتجريبات التي كانت (فاتن) تجريها في المنزل ..

***** ١٢٥ *****

١٢ - المواجهة ..

أصابني الجنون مما فعله (شريف) هذه المرة ..
لم يكن انتزاعه مبادرة التصفيق مني ، هو ما أورثني
الجنون ..

ولكنه التوقيت ..
كنت أعلم نهاية الأوبريت ، لأن (فاتن) كانت
تتدرب أمامي « ولكن كيف عرف هو النهاية ؟ ..
صوّر لي جنون الغيرة أنها كانت تقابله ، وأنه
كان يشاهدها تؤدي تدريباتها أمامه ..

عادت الغيرة تصوّر لي علاقة وهمية بينهما ، وتملكني
الغضب ، حتى أنني لم أصفق لها ..
لم أفعل مطلقاً ، والمشاهدون يلتهبون بشحبتها ، وهي
تنحني لهم في رشاقة ، دون أن تبلم ..
أصرعت وسط تصفيق المشاهدين إلى هناك ..
إلى حيث يجلس (شريف) ..
لم يكذب رأيي حتى هتف في مرح :

وقبل نهاية الأوبريت بلحظات ، قررت أن أبدأ
التصفيق ، حتى أكون أول المصفقين ..
رفعت كفي استعداداً لذلك ، ولكن فجأة دوى
في قاعة المسرح صوت تصفيق ..
تصفيق رجل واحد ..
ولم أكّد ألفت إلى الرجل ، الذي انتزع مني
وعدي لها ، حتى انبعثت الكراهية مرة أخرى في أعماقي ..
لقد كان (شريف) ..

• • •



— (فوزى) ١٩ .. كيف حالك يا رجل ؟ .. لقد
كانت (فائن) رائعة هذه الليلة .

لم أردُ نحيته ، وإنما قلت فى خشونة :
— أريدك وحدنا .

لمحت الدهشة والحيرة على وجهه ، وهو ينهض
من مقعده ، ويقول :

— حسناً يا (فوزى) .. أنا رهن إشارتك .

صحبه إلى ركن خال ، فى بهو المسرح ، ثم التفت
إليه فى غضب ، وتأملت وسامته وقوته فى كراهية ، ثم
قلت فى حق :

— أنت حقير .

بدت عبارتى كالقنبلة ، وظهر أثرها فى الذهول
الذى ارتسم على ملامحه ، وهو يهتف :

— هل أصابك الجنون ؟

قلت فى غضب :

— أنت تخوننى مع زوجتى أيها الحقير .. أعلم أنك

نحبها منذ بدأت جلسات العلاج الطبيعى .. أعلم أنك ...

***** ١٢٨ *****

قاطعنى وهو يقول فى غضب مماثل :

— لقد أصابك الجنون ولا شك .. من قال لك

إننى أحب زوجتك ، إننى أحب ابنة عمى منذ سبع
سنوات ، ولقد تزوجنا منذ عامين .. انظر .

قال عبارته هذه ، ورفع كفه أمام وجهى ،
فرأيت الدبلة الذهبية ، التى تتألق فى بنصره الأيسر ،

وتملكى الذهول لحظة ، ثم عدت أهتف فى عناد :

— أنت كاذب .

أشار إلى صالة العرض فى غضب ، وهو يقول :

— زوجتى هناك فى قاعة المسرح ، يمكنك أن

تذهب وتساها .

أصابتنى الحيرة ، وتزلزلت أفكارى ومشاعرى ،

فغمغمت فى شحوب :

— لماذا عارضتني إذن فى خطبة (فائن) ؟

قال فى حدة :

— لأننى كنت أراها خطوة غير مناسبة بالنسبة

للعلاج ، وكان جزعى لسبب عقلاى وطبى محض .

***** ١٢٩ *****

نعمت :

— لماذا كنت تمسك يديها في حجرة العلاج

الطبيعي ؟

قال :

— كنت أعاونها على السير ، هذا كل ما في الأمر .

ازدادت حيرتي وأنا أقول :

— لماذا انتقلت من القسم بعد خطبتنا ؟

هز رأسه في ضجر ، وقال :

— لقد لاحظت من أسلوب حديثك معي ، أنك

تغار مني ، وخشيت أن يسبب وجودي بعض المشاكل

لكما ، ورأيت أنه من الأفضل لعلاجها ، أن أبتعد

عن طريقكما .

نعمت :

— وحديثك معها .

قال في حلة :

— إن كنت تقصد حديثنا يوم نجاحك في الماجستير ،

فسأشرح لك معناه .. لقد أدهشني أن أعلم أن (قان)

***** ١٤٠ *****

قد تماثلت الشفاء تماماً ، فأنت تعلم ندرة حدوث ذلك ،
وأردت التأكيد مما أسمع ، فذهبت إليها ، وحينما سألتني
عن سر نقل من القسم ، أخبرتها بصراحة أن غيرتك
هي السبب ..

قلت فيما يشبه الانهيار :

— والبرقية .

صاح في حلة :

— أمر طيبي أن أرسل برقية تهنئة للمريضة من

مرضاي ، تماثلت للشفاء على هذا النحو المذهل .

شعرت أنني أترنح من عجب ما أسمع ، وكنت

أنهار تماماً ، لولا أن تذكرت نقطة أعادت دماء الغضب

إلى وجهي ، فعدت أصبح :

— والأوبريت .. كيف عرفت نهايته ؟

قال في عصبية :

— إنه أوبريت شهير ، وليست هذه هي المرة

الأولى التي أشاهده فيها ، ولست أدري ماذا يعنيك

في معرفتي لنهاية الأوبريت .

***** ١٤١ *****

عدوت إلى هناك ، فارتطمت بأحدهم ، وسألت
في رعب :

— ماذا حدث ؟ ..

أجابني وهو يبكي في ألم :

— لقد انتحرت البطلة .. انتحرت السيدة (فاتن) .

• • •



سألت اللعوب من عيني غزيرة ..
لقد عذبت نفسي وعذبتها خمس سنوات كاملة ،
وأنا أعيش في وهم ! لا أساس له من الصحة ..
وهمٌ صنعتُه بنفسى ، وعشت أتعذب به ومنه
دون مبرر ..

وهمٌ مزَّق أواصر الحب بينى وبينها ..

يالى من أحمق مجنون !!

لم أضع هذه المواجهة منذ خمس سنوات ..

لم أفر على نفسى ، وعلى (فاتن) عذاب

سنوات طوال ..

(فاتن) .. كيف نسيت موعلى مع مديرة المعهد

بشأنها ..

تركنت (شريف) فجأة ، دون اعتذار أو تبرير ،

وأسرعت إلى حجرة (فاتن) ..

لم أكّد أصل إلى هناك حتى ارتجفت ساقي رعباً ..

كان هناك جمع كبير يحيط بحجرة (فاتن) ، وكان

الذعر والحزن يسيطران على وجوههم ..

وقفت لحظة ذاهلاً كالمجنون ، وأنا أحدث في
الجاهير التي التفت حول حجرة زوجتي ، ثم أطلقت
فجأة صرخة إنكار ، واندفعت نحو حجرتها ، أشق
طريق بين الجموع ، وأدفع الناس عن يمين ويسار ،
وأنا أطلق صرخات متتالية ، حتى سمعت أحدهم يصيح
في الآخرين :

— افسحوا له الطريق .. إنه زوجها ، وهو طيب .
أفسحوا لي الطريق بالفعل ، واندفعت إلى حجرتها .
كانت ترقد على أرض الحجرة هادئة ، كلاك
وديع ، وقد اكتسى وجهها بالسكينة « والسلام ..
كانت ترقد كمصفور رقيق ، حطمت الرياح
جناحيه ، فهوى قتيلاً ..

وكانت عيناها مسبلتين ..
عيناها اللتان سحرتاني ببحرهما الأزرق العميق ..
لقد فارقت الحياة ..
انطلقت فجأة صرخة اعتراض في أعماقي ..

ووجدت نفسي أنقض على جسدها الضئيل ، وبكل
خبرتي في الطب ، شبكت أصابع كئي وأنحلت أضغط
بهما صدرها في قوة وانتظام ، وأنا أدفع بعضاً من
أنفاسي في صدرها ..

التفت الجميع حولي ، يرقبون عملي في صمت وإشفاق ..
وأنا أتحرك كآلة تمت برمجتها ببرنامج واحد ،
ألا وهو إنقاذ حياة (فاتن) ..

تصبب العرق على جبينى ، وبلى حلقى ووجهى ،
وتساقطت منه قطرات على وجه (فاتن) ، الساكن
المستسلم ، وأنا أواصل محاولتي في قوة ..
وفجأة خفق صدرها في قوة ..

بعثت خفقته أملاً قوياً في صدري ، فزدت من
سرعة تدليكى لقلبها ، ومنعها أنفاسي التي تقطعت ..
وفي هدوء عجيب ، فتحت (فاتن) عينيها ..
توقفت عن الحركة بغتة ، عندما التفت عيناى
ببحر عينيها ..

كانت تتطلع إلى وجهي في تأمل ، ثم لاحت على
شفتيها ابتسامة شاحبة ، ونغممت في صوت واهن ،
لا يكاد يسمع :

— (فوزى) .

وتوقف قلبها عن النبض مرة ثانية ..
عدت أحاول إنعاش قلبها الصغير في جنون «
مرة ، ومرة ، ومرات ، ولكن القلب الذي تعذب
طويلا ، أبي العودة إلى عذاب الدنيا ، واستكان
إلى الأبد ..

ظلت عيناها مفتوحتين ، تتطلعان إلى وجهي ،
وإن فقدتا بريق الحياة ..

ضاعت (فاتن) إلى الأبد ..

غادرت كزهرة رقيقة ، بللتها قطرات الندى ،
فلم ترتو منها ..
غادرت عالمنا ..

جلست كالمذهول أحده في وجهها الشاحب ،
ثم مددت أنامل في هدوء ، وأغلقت عينيها ..

■ ■ ■ ■ ■ ١٤٦ ■ ■ ■ ■ ■

أغلقت البحر الذي طالما ارتويت من نبع حنانه
ودفته ..

ثم أخرجت من جيبى الزهرة التي أحضرتها
من أجلها ..

أخرجتها ، وقضضت غلافها ، ثم وضعتها في رفق
على صدرها ، وجلست أنتظر رجال الشرطة والإسعاف ..

حاولت إقناع رجال الشرطة أنني قاتلها ..
أننى الرجل الذى قتلها في ليلة انتصارها ..

توسلت إليهم أن يعدموني ، جزاء ما اقترفت يداى .
ولكنهم رفضوا تصديقى ..

شهادة الشهود والأدلة ، قالت عكس ما ادعى ..
وبخاصة الخطاب ..

ذلك الخطاب ، الذى تركته لى (فاتن) بعد رحيلها ..
تسلمته بعد انتهاء التحقيق ، وقرأته صباح اليوم ..

كانت تقول فيه :
« حبيبى (فوزى) ..

هل تصدق الآن أنني لم أحب سواك ؟ .. لقد
■ ■ ■ ■ ■ ١٤٧ ■ ■ ■ ■ ■

حاولت منذ لقائنا الأول أن أوضح لك ذلك، ولكنك كنت دائماً تمنعني من أن أفعل .. لقد أحبيتك منذ عدت إلى منزلنا ، تستفسر عن حالي .. أحبيتك حتى وأنت تناقشني في أمر عصفوري الحبيس .. لقد أحبيتك ولكنك لم تشعر بذلك ، ولم تقدره .. أحبيتك لأنك منحتني الأمل في الشفاء ، ومنحتني القوة عليه .. لقد كنت أسعى للشفاء من أجلك ، لا من أجل أنا .. كنت أريد أن أصبح زوجة مناسبة لك .. لقد سمعت إلى الشفاء لأنك كنت تمنى ذلك ، ولكنك كنت تفتقد الثقة في نفسك .. إنني أعترف أن (شريف) وسيم ، أنيق ، جذاب ، ولكنك كنت دائماً في نظري أفضل الرجال ، وأكثرهم وسامة ، وأناقة وجاذبية .. لأنني أحبك .. والمرأة يا حبيبي - إن لم تكن تعلم - لا تحب في الرجل وسامته ، ولا أناقته ، أو جاذبيته ، ولكنها تحب فيه رجولته ، وحنانه ، وعطفه ، ولقد عذبني كثيراً أنك تصورتني أحب (شريف) .. لقد لاحظت هذا من نظراتك ، ومن عصيتك حينما اتصل بيئتنا

بخطبتنا .. لاحظته ولكنني كنت أرفضه ، ولقد حاولت كثيراً أن أنزع الفكرة من رأسك ، ولكنني في كل مرة كنت أزيد من شعورك بالشك ، دون أن أدري ، وعندما أحقتك رغبتي في زيارة (شريف) في قسم العظام ، قررت أن أنزعه من حياتي تماماً .. من أجلك .. وربما تذكر أنني لم أنطق حتى باسمه منذ ذلك اليوم ، ولم أحاول حتى دعوته لحفل خطبتنا ، أو لحفل زفافنا .. كنت مستعدة لخسارته ألف مرة ، وغير مستعدة لخسارتك بالمرة .. إنني لم أصدق نفسي يوم طلبتني للزواج .. كادت الفرحة تقتلني ، لولا أن فررت من أمامك إلى حجرتي ، وأخذ قلبي ينتفض من شدة سعادتي .. كيف لم تلاحظ ذلك ؟ .. هل أعمتك الغيرة عن رؤية كل عواطفي نحوك ، أو عن الشعور بها ؟ .. ومن المؤسف أنك لم تصرح لي بسبب تعذيبك لنفسك ولشاعري مرة واحدة ، حتى يمكنني أن أشرح لك الأمر ، كنت تغرّ دائماً من ذكر السبب ، وكنت أنا أخشى مفاتحتك به ، حتى لا أثير مزيداً من شكوكك ..

ولكنك كنت تضيق الخناق من حولي، وتعذبني بشكك
 في .. والمرأة تشعر بألم بالغ، ويخرج عميق في كرامتها،
 لو وجدت أن الرجل الذي منحته قلبها، لا يمنحها
 ثقته .. الحب يا حبيبي هو الثقة، ولا حب بغيرها ..
 ولقد منحتك أنا كل ثقتي، ولم تمنحني أنت جزءاً من
 ثقتك، ولكنني احتملت .. احتملت طويلاً حتى كان
 هذا الصباح .. لقد أدهشتني برقية (شريف)، وأثارت
 في نفسي القلق، لأنني كنت أخشى أن تسيء أنت
 نفسك، لهذا حاولت إخفاءها عنك .. كنت لا أرغب
 في تعكير صفو اليوم، الذي سأزدي فيه رقصتي الأولى،
 احتفالاً بنصرتك .. نعم يا حبيبي، لقد كان نصرك
 أنت، لا نصري أنا .. فأنت الذي دفعتني إليه، وأنت
 الذي انتصرت .. ولكنك لم تحتل .. انفجرت في اليوم
 الذي كنت أنوي تقديمك فيه للجماهير، وإخبارهم أنني
 أحبك .. وأنت سر انتصاري .. انفجرت توصمني
 بالعار، وتدعى أنني لم أحبك يوماً .. كلاً يا حبيبي ..
 لقد أحبتك دوماً، أنت الذي لم تحبني أبداً، وكان

هذا يعذبني .. هل يوجد في نفوسنا ما هو أغلى من
 الحياة ؟ .. أنت يا (فوزي) كنت لي أغلى من حياتي
 كلها، لذا فقد قررت أن أهبك حياتي، حتى ينمحي كل
 أثر من الشك في قلبك، وحتى تتأكد تماماً من حبي لك ..
 وداعاً يا أحب إنسان في الوجود .. وداعاً يا حبيبي ..
 « فاتن »

لم أكد أنتهى من قراءة رسالتها، حتى تفجرت الدموع
 من عيني، وأخذت أدق على صدري، وأهتف في ألم :
 — أنا الذي قتلتك يا (فاتن) .. أنا الذي مزقت
 جناحك أينها العصفور الجريح ..
 ظلت أبكي ليوم كامل، وأعيد قراءة الخطاب
 مرات ومرات، وكأنني أتعمد تعذيب نفسي، جزاء
 ما اقترفت يداي ..

لم أعد أعمل .. أهملت عيادتي، وعملت في المستشفى ..
 أهملت مرضاي وأهل ..
 لم يعد هناك معنى لكل ما أفعله ..
 لم تعد هناك سعادة فيما أقدم عليه ..

اتمنى الدكتور (حلمى) ، رئيس قسم الأمراض النفسية والعصبية ، من قراءة الأوراق ، التى كتبها الدكتور (فوزى) ، ثم هز رأسه فى حيرة ، وقال :
- هذه أعجب حالة رأيتها فى حياتى .. إنه انقسام شخصية عجيب .

سأله الدكتور (شريف) فى اهتمام :
- هل هناك أمل فى شفائه يا سيدى ؟
هز الدكتور (حلمى) رأسه فى حيرة ، وقال :
- ربما .. ولكننى لا أستطيع الجزم بذلك ..
ثم أردف فى دهشة :
- من العجيب أنه يذكر كل شىء فى دقة مذهلة ،
حتى حديثكما معاً فى بهو المسرح ، وبعدها نخلت
الأمر كلها فى ذهنه .
نعمم الدكتور (شريف) فى أسف :
- ربما كان عقله الباطن يحاول التكفير عن ذنوبه
فى حق (فاتن) .

لم يعد لى الحق فى الحياة ..
إتنى أرى شبح (فاتن) فى كل لحظة ..
أراها تتطلع إلىّ فى إشفاق ، وأنجيلها أحياناً تمد
كفها الرقيقة ، لتربت على شعرى فى حنان ، أو تمسح
وجهى فى عطف ..
أكاد أجنّ من عذاب نفسى ..
ولا مفر من العذاب إلا بالعقاب ..
القاتل فى كل مكان يستحق الإعدام ..
وأنا قاتل ..
صحيح أتنى لم أقتل (فاتن) بيدي ، ولكننى قتلتها بغيرتى ..
أنا أستحق الإعدام ..
إن لم يقدموا هم على إعداى ، فسأفعل ذلك بنفسى ..
سأنتحر ..
سأنتحر حتى أفرّ من شبح (فاتن) ، ومن خيالها
الذى يطاردنى فى كل لحظة ..
لا مفرّ لى إلا بالموت .. الموت وحده ..

أوما الدكتور (حلمي) رأسه موافقاً ، وقال :
— هذا صحيح .

ثم التفت إلى فتاة رقيقة ، تجلس ساكنة في ركن
الحجرة ، وقد اكتست ملامحها بحزن عميق ، وأردف :
— أليس كذلك يا سيدة (فاتن) ؟

رفعت إليه (فاتن) عينيها في بطل وحزن ، وقالت :
— لست أفهم الكثير في علم الأمراض النفسية
يا سيدي ، ولكن تخيله محاولة انتحاري ، وذلك الخطاب
أمران يشير ان حيرتي .

هز الدكتور (حلمي) رأسه في بطل ، وقال :
— بعد حديثه مع (شريف) ، كشف أن تعذيبه
لك لم يكن له ما يبرره ، وتصاعد شعوره بتأنيب
الضمير ، فاختل عقله ، وبدأ يبحث عن وسيلة يعذب
بها نفسه ، كعقاب له عما فعل بك ، ولما كنت أنت
أحب إنسان إليه في الوجود ، فقد اختلق عقله محاولة
انتحارك ، ومحاولة إنقاذك ، وفشله في ذلك ، ولزيادة
تعذيبه لنفسه ، اختلق وهم ذلك الخطاب الذي تركته ،

والذي شرح فيه وجهة نظرك ، دون أن يدري ، وكأنه
يعذب نفسه أكثر ، بتصوير أنه السبب المباشر في مقتلك .
هتفت (فاتن) في حيرة وألم :

— ولكنني حية أرزق .

قال الدكتور (حلمي) :

— إنه يرفض الاعتراف بذلك ، لأن هذا ينتزع
منه شعور العذاب ، الذي يسعى عقله الباطن إليه ،
ولقد تصورت في البداية أن رؤيته لك حية ، سيسبب
له ما نسميه بالصدمة الرجعية ، فيسترجع صوابه ،
ويعود إليه وعيه ، ولكنه حتى مع رؤيته لك رفض
الاقتناع ، وبدأ يتصورك مجرد شبح ، يتبدى أمامه ،
ليشير في قلبه كواامن العذاب والألم .

ثم عاد يهز رأسه في حيرة ، ويردف :

— إنها حقاً أعجب حالة رأيها في حياتي .

نغمم الدكتور (شريف) في ألم :

— يؤسفني أن كنت السبب في هذا .

قال الدكتور (حلمي) في اهتمام :

— لا تحاول إقناع نفسك بذلك ، فلو لم تكن أنت
لكان شخصاً آخر ، إن (فوزى) يعترف في بداية
أوراقه بأنه شخص منطو ، ويبدو من وصفه لنفسه
أنه يفتقد الثقة فيها كثيراً ، ولقد كان يتصور أن
(فاتن) أجل من أن ترضى به ، وكان هذا يثير في
نفسه القلق منذ البداية ، وكان سيصل إلى هذه الحالة
إن أجلاً أو عاجلاً .

ساد الصمت لحظة ، ثم غمخت (فاتن) :
— لست أدري بعد ماهية الجنون ، ولكنه من
العجيب أن كل كلمة تصور (فوزى) أنني أرسلتها له
في الخطاب كانت حقيقية .

ابتسم الدكتور (حلمي) ، وقال :
— هذا هو جزء من نموذس الجنون يا سيدتي ،
وهذا ما دفع البعض إلى القول بوجود شعرة صغيرة ،
تفصل ما بين الجنون والعقوبة .

سأله (فاتن) في ألم :
— هل هناك أمل في شفائه ؟

هزّ كتفيه ، وقال :

— الله وحده يعلم ، ولكن الأمل لا ينقطع دوماً ،
ما دمنا نحاول ، وما دمت أنت إلى جواره .

تكررت هذه العبارة أكثر من مرة في ذهن (فاتن) ،
وهي تغادر مستشفى الأمراض النفسية والعصبية ، إلى
جوار (شريف) ، الذي غنم وهما بهيطان في درجات
السلم :

— لم أكن أتصور مطلقاً أن يصاب (فوزى)
بالجنون .

قالت (فاتن) في حزن :

— نحن المسئولان عما أصابه يا (شريف) .

قال (شريف) في ألم :

— ولكن أحداً لم يحنه مطلقاً يا (فاتن) .. صحيح
أن كلاً منا كان يحب الآخر ، ولكنك وجدت أنه
يحتاجك بأكثر مما أحتاجك أنا ، واحترمت أنا قرارك ،
وضغطت على قلبي لتتزوجيه ، من أجل صداقتي له ..
صديقني إننا لم نخطئ .

قالت في حزن :

— هل قرأت ما كتبه في أوراقه ؟ .. لقد سمع
حديثنا ، وأنا أعترف بحبي لك ، ولكن عقله يتصور
الآن أن خياله هو الذي صنع الحديث .

نعم (شريف) :

— مسكين (فوزى) .

ثم أردف في اهتمام :

— ماذا ستفعلين الآن ؟

أجابته وهي تشرد ببصرها بعيداً :

— كما فعلت في السابق يا (شريف) .. إنه الآن

أكثر احتياجاً لي منك .

قال في ألم :

— وحبنا يا (فائق) .

ابتسمت في حزن ، وقالت :

— إنك ترتدى في إصبعك دبلة تحمل اسمي

يا (شريف) ، ألم تسأل نفسك ماذا كان يمكن أن

يحدث لو أن (فوزى) طلب مقابلة زوجتك المزعومة ،

*** ١٥٨ ***

ثم كشف أنك تخدعه ، وأنت اختلقت قصة ابنة
عمك هذه ؟

نعم (شريف) :

— أنت تعلمين أنني أحبك يا (فائق) ، وأنت

مستعد لتحمل كل شيء من أجلك .

أطرقت برأسها ، وقالت :

— أنا أيضاً أحبك يا (شريف) ، ولكنني لن

أتحلى عن (فوزى) .. لقد كان إلى جوارى في محنتي ،

وسأبقى إلى جواره حتى يشفى .

ثم رفعت وجهها إلى السماء ، وتطلعت إلى السحب

بعينها الواسعتين ، ونعممت :

— وداعاً يا (شريف) .. وداعاً .

وسالت من عينيها قطرة دمع حزينة ..

دمع عصفور جريح .

[تمت بحمد الله]

المؤلف



د. نيل فاروق

السلسلة الوحيدة التي لا يجد الأب
أو الأم حرجاً من وجودها بالمنزل

العصفور الجريح

أين الحقيقة؟.. وأين الخيال؟..
من المخطيء، ومن المصيب؟.. هذه
الأسئلة تدور دوماً، في رأس
(فائق) .. في قلب (فوزى) .. في عقل
(شريف) .. يخضم من المشاعر
والحيرة.. صراع من أجل (فائق) ..
من أجل عصفور جريح .

التمن في مصر

وما يعادل دولاراً أمريكياً في سائر الدول العربية والعالم